الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة الافريقية العقيد
ـ أحمد دراية ـ أدرار
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم :اللغة العربية وآدابها

ألفية الغريب
نظم:محمد الزجلوي الشهير بابن العالم
تـ(1212هـ)
دراسة وتحقيق

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

إعداد الطالب: بقادر عبد القادر

إشراف الدكتور: الطاهر مشري

أعضاء لجنة المناقشة

أ . د الشريف مريبعي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر	رئيسًا
د الطاهر مشري	أستاذ محاضر (ا)	جامعة أدرار	مشرفًا ومقررًا
د بن حمو محمد	أستاذ محاضر (ا)	جامعة بشار	عضوًا مناقشاً
د جعفري أحمد	أستاذ محاضر (ا)	جامعة أدرار	عضوًا مناقشاً

الموسم الجامعي

2008م - 2009م / 1429هـ - 1430هـ

نوقشت بتاريخ:2009/05/31م

شكر وعرفان

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى:

الدكتور المشرف الطاهر مشري.

والهيئة المسيرة للجامعة الإفريقية ـ العقيد أحمد دراية ـ بأدرار.

والقائمين على كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجامعة.

والقائمين على قسم اللغة العربية وآدابها بالكلية.

والقائمين على المكتبة الجامعية.

وكذلك مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي ـ الإمارات العربية المتحدة ـ

وأصحاب الخزائن التواتية للمخطوطات.

الإهداء

إلى:

الوالدين الكريمين رحمة الله تعالى عليهما.

وأستاذي أحمد قراوي رحمه الله تعالى.

وأم أبنائي التي طالما شجعتني وواستني وأبويها.

أبنائي الذين انشغلت وأخذني البحث عنهم.

عمتي وبعلها (الشيخ قلوم) وأبنائهما.

وإخواني وأخواتي.

وكل غيور على لغة القرآن الكريم.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة هذا العمل.

المقدمة

الحمد لله حمدا يليق بجلاله، وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

لقد اهتم المسلمون بدراسة القرآن الكريم من بدء نزوله؛ حتى كان هذا الأخير مصدرا للعديد من العلوم الدينية(الشرعية) والمدنية، وكان الدافعَ الأول للدرس اللغوي في جميع فنونه، وحول الجانب اللغوي منه ألّف المسلمون في توضيح عباراته وإبانة ألفاظه، فجاءت كتب تحمل عناوين مختلفة؛ من تفسير، وغريب، ومعاني، ومشكل، وإعراب.

إن معرفة علم غريب القرآن أمر ضروري للمفسر،وإلا فلا يحل له الإقدام على تفسير كتاب الله تعالى. ومصدر هذا العلم الأساسي هو لغة العرب؛ ولذلك فقد قرر علماء العربية: أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة العربية وموضوعاتها تفسير شيء من كتاب الله تعالى. إن غريب القرآن لا يقتصر على تفسير اللفظة الغريبة وإدراك معناها فحسب، بل له أثر آخر يتمثل في إبراز ثروة القرآن البلاغية، وأسرار إعجازه.

ويعد البحث في غريب القرآن أول الدراسات في علوم القرآن، ويعزى ذلك إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، لتتوالى بعده التآليفُ والتصانيفُ في هذا المجال، فكان للجزائريين دورهم في إثراء الدرس القرآني في شتى علومه بما في ذلك غريبه؛ ومن الجزائريين الذين خاضوا مجال البحث في غريب القرآن، "محمد الزجلوي" في كتابه "ألفية الغريب"، والذي اتخذته موضوعا لمذكرتي هذه.

إن هذا المخطوط لم يُسْبَق أن حققه أو تناوله أحد الدارسين دراسة أكادمية حسب علمي، وقد وجدت كتابا للشيخ "محمد باي بلعالم" وبعد الاطلاع على الكتاب ألفيتُه شرحا لألفية الغريب وليس تحقيقا، كما أن شخصية "محمد الزجلوي" لم يتناولها أحد بالدراسة والبحث فيما أعلم، فهذه الدراسة قد تكون أولى الدراسات التي تتناول هذه الشخصية وأعمالها في خدمة الثقافة الجزائرية خاصة، والعربية الإسلامية عامة، ولعل هذا هو أحد الأسباب التي جعلتني اتخذ هذا الموضوع مجالا لدراستي، بالإضافة إلى:

1 . إيماني الشديد بضرورة الإسهام في إحياء التراث العربي الإسلامي،وخدمته بكل وسيلة ممكنة،وغيرتي على أمجاد وطني وأمتي .

2 .كشف اللثام عن حقبة زمنية ازدهرت فيها الثقافة في ربوع الجزائر عامة،ومنطقة توات خاصة.

3 . إزاحة رداء النسيان عن شخصية كان لها باع طويل في خدمة علوم القرآن الكريم، ظل الغموض يلفها مدة ليست بالقصيرة.

4 . موضوع الكتاب . غريب القرآن . جدير بالاهتمام والدراسة والبحث؛ لما له من خدمة في علم التفسير ومعرفة أسرار القرآن الكريم.

5 . إثراء المكتبة الجزائرية والعربية الإسلامية ببحث جديد أرجو النفع به والانتفاع منه.

هذه الأسباب والدوافع وغيرها هي التي دفعتني لأقوم بدراسة وتحقيق كتاب"ألفية الغريب" لمحمد الزجلوي، وفق منهج علمي دقيق، وأسأل الله التوفيق والسداد.

إن هذه الدراسة تحمل في ثناياها جملة من الاستفسارات التي شكلت مجتمعة إشكالية بحث، حاولت أن أنطلقَ منها محاولا فك إشكالها:

. من هو محمد الزجلوي، أهو لغوي أم فقيه؟

. ألم يكن محمد الزجلوي كغيره من الشيوخ الذين دخلوا الدنيا ورحلوا عنها دون ترك بصمة عليها؟

. إلى أي مدى يُعد محمد الزجلوي مسهما في بعث الثقافة في الجزائر والعالم العربي عامة؟

. ما مدى تأثير مصنفاته في منطقته والجزائر عموما؟

. ما جدوى التصنيف في غريب القرآن، وقد أُلِّفت وصُنِّفت فيه الكتب الكثيرة؟

. أليس مصنفه "ألفية الغريب" جمعا لما جاء به السابقون؟

. إلى أي مدى كان الزجلوي ملتزما في منظومته؟

كل هذا وغيره حاولت جاهدا أن أجد له إجابات شافيةً كافيةً، وعليه جاء بحثي هذا على قسمين تسبقهما مقدمة، وتقفوهما خاتمة وفهارس وملحق.

فالقسم الأول هو قسم الدراسة: تناول مدخلا تطرقت فيه إلى الموقع الجغرافي والفلكي لمنطقة توات،ثم تاريخِ إعمارها، وتسميتِها بتوات، ووضعِها قبل الفتح الإسلامي وبعده، فدخولِ العرب إليها وتعريبِ ألسنة أهلها، وأقبالِهم على تعلم القرآن واللغة العربية، واشتغالِهم بالدرس اللغوي وما يساعد عليه من بناء المدارس والزوايا...

واتبعت هذا المدخل بحديث عن عصر المؤلف؛ حيث تناولت حالته السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتعليمية، لأنتقل فيما بعد إلى حياة محمد الزجلوي؛ فتحدثت عن اسمه ونسبه، ثم طلبه للعلم، وفضائله وخلقه، ومشاركته في مجلس الشورى، فشيوخه، وتلاميذه، وآثاره (كتب، ومنظومات، وأشعار)، ثم مظاهر ثقافته من خلال آثاره، فوفاته.

ثم دراسة (الكتاب) المنظومة فبدأت بمفهوم الغريب ودواعي التصنيف فيه وأنماطِه، ثم دوافع الزجلوي لتصنيف "ألفية الغريب"، ومصادره وأسلوبه في الاقتباس، فمنهجه وطريقته التي نظم عليها منظومته، ثم أدوات التفسير التي استعملها في شرح ألفاظ الغريب (المرادف، الضد ، المقارب ، العبارة)، ثم تعرضت للظواهر اللغوية في المنظومة فجئت بالظواهر الصوتية، ثم الصرفية، ثم النحوية، ثم الدلالية، فالضرورات الشعرية.

وفي آخر الدراسة تطرقت إلى مكانة المنظومة بين المنظومات وأهميتها في المنطقة بشكل خاص، ثم تنويه العلماء بها، ولم أغفل إبراز بعض المآخذ عليها، وبعد ذلك عقدت موازنة بينها وبين منظومة المجاصي في غريب القرآن والتي كانت إحدى مصادر الزجلوي في ألفية الغريب.

أما القسم الثاني فكان مخصصا للنص المحقق، ثم خاتمة ضمنتها جملة من النتائج التي توصلت إليها، ثم أعقبتها بفهارسَ فنيةٍ، ومصادرَ الدراسة والتحقيق، ثم فهرسِ الموضوعات.

ولتحقيق الهدف المنشود من الخطة المذكورة أعلاه اعتمدت المنهج الوصفي، بهدف عرض بعض المسائل في النص المحقق ودراسة بعض جوانبه وتحليلها للوصول إلى بعض الاستنتاجات، التي ترتبط بشكل أو بآخر مع النص المدروس، هذا كله مع الاستعانة ببعض المناهج الأخرى كلما دعت الضرورة

إلى ذلك مثل؛ المنهج التاريخي،والمنهج المقارن؛ لِما للأول من أهمية في تفسير وتعليل بعض الجوانب العامة والخاصة التي لها علاقة بالمؤلف "محمد الزجلوي" وببعض الأعلام، وما للثاني من أثر أساسي في فهم طبيعة جهود العلماء المبذولة في هذا المضمار.

وقد راعيت في طريقة عملي جملة من الأمور أهمها:

1 . انتخاب مجموعة من نصوص المنظومة تمثّل الأغراض المقصودة في الدراسة؛ كالمنهج، وأدوات التفسير، الظواهر ...

2 . تقديم تعريف مختصر لكل ظاهرة درستها مع الإحالة إلى المصادر والمراجع التي تناولت الظاهرة؛ محاولة للربط بينها وبين استعمال الناظم لتلك الظاهرة.

3 . ذكرت أحيانا بعض الملاحظات الاستنتاجية أثناء وبعد النصوص المختارة للدراسة؛ وهي التي حددتُ من خلالها منهج الناظم وموقفه من الظاهرة المستعملة.

4 . لم أكرر توثيق النصوص واكتفيت بالإحالة على رقم الصفحة في قسم التحقيق، وإن كان هذا الأخير متأخرا عن الدراسة.

5 . ترجمت لبعض الشخصيات المغمورة . بخاصة المحلية . التي وقفت على ترجمتها.

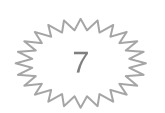
6 . قدمت تعريفا موجزا للمصادر التي اعتمدها محمد الزجلوي.

ولم يشذ هذا البحث عن بقية البحوث العلمية، فقد واجهتني مصاعبُ جديةٌ في بدايته،تمثلت في:

1 . العثور على نسخ الكتاب بالبحث عنها في الخزائن المنتشرة عبر تراب المنطقة أولا، وفي غيرها من مناطق العالم.

2 . ترجمة المؤلف الشيء الذي لم أستطع التوصل إليه إلا من خلال مؤلفاته التي توجب علي الاطلاع عليها.

3 . مصادر المؤلف في "ألفية الغريب" وبشكل خاص المخطوطة منها (منظومة التيسير في علوم التفسير لعبد العزيز الديريني، ومنظومة المجاصي).



ولكن سرعان ما تلاشت تلك الصعابُ شيئا فشيئا حتى كانت كأنها سحابة صيف عابرة ولله الحمد؛ فقد تمكنت من الحصول على خمس نسخ للكتاب،وجل مؤلفات المؤلف، والمنظومتين كذلك، والفضل في ذلك كله لله وحده أولا، ولتفهّم أرباب الخزائن وتعاونهم معي ومدهم إياي بما ذلل لي البحث ويسر لي طريقه، كما كان لشبكة الإنترنت وقعُها الإيجابي في حصولي على "منظومة التيسير في علوم التفسير" من مكتبة المصطفى على الموقع التالي:www.al-mostafa.com

ولإنجاز هذا البحث استعنت بمصادر المؤلف لتحقيق النص، مثل: غريب القرآن (نزهة القلوب) للسجستاني، وتفسير الجلالين للسيوطي والمحلى، والجواهر الحسان للثعالبي، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، والقاموس المحيط للفيروز آبادي...غيرها، وفي الدراسة استعنت بكتب اللغة من معاجم، مثل: لسان العرب لابن منظور، والصحاح للجوهري...، ثم كتب النحو واللغة العربية، مثل كتاب سيبويه، والمقتضب للمبرد، والمزهر للسيوطي...

وفي الختام لا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من مد لي يد العون والمساعدة في إنجاز هذا البحث، وأنار لي الطريق ودرب هذا الموضوع، وشجعني على مواصلة العمل في العناية وتحقيق التراث، وفي مقدمة كل هؤلاء الدكتور الطاهر مشري، الذي شد على يدي منذ الوهلة الأولى حين استشرته في الموضوع، وأمدني بالمراجع والتوجيهات والنصائح اللازمة لمواصلة العمل، والأستاذ عبد الرحمن العربي الذي تابع عملي منذ البداية حتى نهايته،والدكتور أحمد جعفري، الذي وقف ورائي ولم يبخل علي بشيء طلبته منه، الدكتور شريف مريبعي بجامعة الجزائر الذي شجعني على بداية العمل فور استشارتي له في الموضوع، ولا أنسى تشجيع الدكتور صالح بلعيد بجامعة تيزي وزو،والدكتور عبد الكريم بكري بجامعة وهران، والدكتور محمد بن حمو بجامعة بشار، والأستاذ محمد السعيد بن سعد بالمركز الجامعي بغرداية، والأستاذ محمد جرادي بجامعة أدرار...، بالإضافة إلى هؤلاء أتوجه بالشكر الجزيل إلى أرباب الزوايا وأصحاب الخزائن في المنطقة الذين استقبلوني بحفاوة بالغة، وأذكر منهم: الشيخ محمد باي بلعالم بأولف، الحبيب عقباوي بأقبلي، الأستاذ عبد القادر بن الوليد ببا عبد الله، الطيب شاري بكوسام، الشيخ محمد وأخاه الشيخ الحسان بأنزجمير، والشيخ الحاج أمحمد العلمي بزاجلو، والشيخ الحاج أحمد النحوي ببوحامد، والإمام عبد الحميد بكري بتمنطيط، والإمام عبد الحق بكراوي بأدرار...، كما أشكر الأصدقاء الذين وقفوا معي في إنجاز البحث: با سيدي عبد الكريم، ومسعودي علي، وسليماني عبد

القادر...، كما أتوجه بالشكر إلى مركز جمعه الماجد بالإمارات العربية المتحدة والمشرفين عليه، والسيد مولاي عبد الحميد الإدريسي الحسيني، والأخ عبد الفتاح بن محمد ورتي بالمملكة المغربية الشقيقة.

فلهؤلاء جميعا، ولكل من أعانني من قريب أو بعيد ولو بالكلمة الطيبة جزيل الشكر والتقدير، وجزاهم الله عني كل خير.

أدرار يوم: 2009/02/01م

عبد القادر بقادر

قسـم الدراسـة

المـدخــــل

كانت توات عبر العصور مركزا إقليميا حساسا، ومعبرا استراتجيا للقوافل التجارية مما جعلها تكون ملتقى العلماء والزهاد والصالحين.

تقع توات في الجهة الشرقية للقسم الجنوبي من وادي الساورة، مع القسم الأعلى لوادي مسعود الذي هو امتداد لوادي الساورة في الجنوب[1]. وهي أيضا البلاد الممتدة من تبلكوزة حتى عين صالح وتنقسم إلى ثلاثة أقاليم هي: إقليم قورارة، وإقليم توات، وإقليم تيديكلت.

أما الموقع الفلكي؛ فهي تقع ما بين خطي طول 01 درجة شرقا، و03 درجات غرب خط غرينيتش، وبين دائرتي عرض 20 درجة إلى 30 درجة شمالا[2].

يرجع تاريخ إعمار المنطقة إلى ما قبل الإسلام؛ حيث اتفق المؤرخون على أن توات كانت بربرية قبل الفتح الإسلامي، ومن أقدم قصورها قصر تمنطيط التي كانت عامرة منذ عهد الفراعنة[3]، بالإضافة إلى هذا فقد كانت منطقة عبور وحركة وحيوية؛ فقد تمت بها مختلف أشكال التبادل.

أما عن تسمية المنطقة بهذا الاسم فقد تعددت الروايات واختلفت الآراء إلى حد التضارب فيما بينها.[4] لا يكاد الباحث يعثر على شيء في كتب التاريخ عن توات قبل إسلامها إلا ما قاله القاضي محمد بن عبد الكريم التمنطيطي في درة الأقلام: " كانت تحت سيطرت حاكم سبيطلة وإفريقيا البطريك جريجوريوس الذي أعلن انفصاله عن ملك روما من أجل أن يوسع ملكه وحكمه فجعل المنطقة تابعة

---

1 ـ ينظر.النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن9 إلى القرن 14 الهجريين، عبد الحميد بكري، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة ، د ط، د ت، ص :19.

2 ـ دليل ولاية أدرار، جمعية الأبحاث التاريخية لولاية أدرار، ص:03.

3 ـ ينظر: التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11 إلى القرن 14 هـ/17 إلى20م، الحاج أحمد الصديق، ط: 01، 2003م، ص:39.

4 ـ ينظر: توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب من حوالي 1850 م إلى 1902م، أحمد العماري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس. ط: 01، 1408هـ ـ 1988م، ص: 11، والتاريخ الثقافي لإقليم توات، ص: 39، و أصل أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر، بوساحة، دار هومة الجزائر، ط: 2002م، ص: 79، وإقليم توات بين القرنين 18 و19 الملاديين، فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط: 1977م، ص: 02.

إليه"[5] . كما أن توات كانت على عهد جريجوريوس هذا تدين بالنصرانية منهاجا وشريعة وسلوكا وحضارة.[6]

ولم تكن المنطقة غائبة الذكر عن كتب الرحالة والكتاب فقد وصفها الكثير منهم أمثال ابن بطوطة، وابن خلدون، وسالم العياشي، والوزان الفاسي[7]، وكان يغلب على أهالي المنطقة . من الناحية الاجتماعية . طابعا عرفيا مستمدا من مسحة الدين الإسلامي، فقد قال عنهم العياشي: "أهل تقوى وصلاح"[8] وكذلك الرحالة الألماني جيرهارد رولف، قال: "إنهم قوم مسالمون يحبون الغرباء"[9].

بعد وصول بعثات الفتح الإسلامي الأولى إلى المغرب العربي على يد الفاتح العربي "عقبة بن نافع الفهري"[10](تـ 63هـ)ومع مرور السنين وصل الإسلام إلى توات عن طريق التجار والدعاة واعتنقه أهلها، إلا أنهم ارتدوا عنه، ثم عادوا إليه مرة أخرى مع فتوحات حسّان بن النعمان[11]، وهذا ما كان عليه المغرب البربري بصفة عامة حتى قال عنه عقبة بن نافع: "إن إفريقيا إذا دخلها إمام تحوموا بالإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أسلم بها وارتد إلى الكفر."[12]

وما إن اعتنق أهالي توات الدين الإسلامي وصار الإسلام شريعة ومنهاجا وسلوكا وحضارة، وتوافدت القبائل العربية على المنطقة، حتى تعربت ألسنة أهل توات، فعكفوا على كتاب الله؛ تلاوة وحفظا ودراسة، فنشطت الحركة العملية والفقهية واللغوية فازدانت البلاد بالزوايا والمراكز العلمية التي

---

5 ـ النبذة في تاريخ توات من القرن 9 إلى القرن14 هـ، ص: 17 و18، نقلا عن درة الأقلام.

6 ـ ينظر: المرجع السابق، ص: 18.

7 ـ ينظر: وصف إفريقيا، حسن بن محمد الوزان الفاسي، ترجمة محمد حجي، ومحمد الأخضر، ط: 02، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، 133/2 و134، ورحلة ابن بطوطة المسماة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار= =وعجائب الأسفار، ابن بطوطة، تح:علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: 1 ، 1405هـ ـ 1985م، 700/2 – 702.

8 ـ إقليم توات بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الملاديين، ص: 14.

9 ـ المرجع السابق، ص:14.

10 ـ عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الظرب بن أمية بن الحارث بن فهر القرشي: ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولاه عمرو بن العاص على إفريقية وبنى القيروان، توفي سنة 46هـ، (ينظر: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الزركلي، درا العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط: 14، 1999م، 241/4، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت، 253/4، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، تح:محمد علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط:1، 1412هـ ـ 1992م، 1075/3.).

11 ـ ينظر: النبذة في تاريخ توات من القرن9 إلى القرن 14 هـ، ص:18.

12 ـ تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمان محمد الجيلالي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط: 04، 1400هـ/1980م، 126/1.

انتشرت بربوعها، فكانت مقصدا للعلماء والزهاد والصالحين.[13] وبذلك صارت توات مركز إشعاع علمي وإسلامي ليس في الجزائر فحسب بل حتى في إفريقيا. وازداد التواصل العلمي والمعرفي وتوسع وتكثفت معه أشكال التفاعل الحضاري ومن ثمّ انكبت النفوس على الدرس، وراحت الأقلام تترجم الأحاسيس والمشاعر وتعبر في دهشة وإعجاب عن واقع هذا التفاعل، ومن ثمّ كان لنا هذا العمر الزاخر بالشعراء والأدباء في مختلف الفنون الأدبية، والمؤلفين في شتى المجالات العلمية والمعرفية وكان ذلك كله في خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة[14].

وتوافدت العرب أفوجا في أزمنة متباعدة، ومن العرب الوافدين على المنطقة، في سنة 815هـ دخل القاضي أبو يحي بن محمد توات وتولى القضاء بها، وفي سنة 845هـ جاء السيد يحي بن إيدير شيخ الإمام المغيلي، وعبد الله بن أبي بكر العصموني وكان دخوله سنة870هـ، وفي السنة ذاتها جاء الإمام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، فوجد اليهود قد عاثوا فسادا، فقرر إخراجهم منها وتطهيرها منهم، وفي سنة 1012هـ جاء أولاد الشيخ دحو، ونزلوا بقصر بوزان بتيمي. وفي سنة 1016هـ جاء أولاد هلال ونزلوا عند الشيخ أبي حفص.

ويوجد بالمنطقة الشرفاء العلويون والأدارسة، والزوا الذين يتنهي نسبهم إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه،وكذا كناتة من نسل عقبة بن نافع الفهري، والحفصيون الذين ينتهي نسبهم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبنو العباس وبنو أمية، والجعفريون والأنصار[*]، والطوارق، وأولاد زنان وأولاد يحي وغيرهم[15]، ومع مطلع القرن السابع الهجري(13م)هاجرت إلى الإقليم قبائل عربية وذلك بعد أحداث القرامطة بالبحرين، والفاطميين بمصر، وقد كان لهم أثر كبير في تثبيت اللغة العربية ونشر الإسلام، بالإضافة إلى تمصير المدن وبناء القرى وإعمار الصحراء[16].

---

13 ـ ينظر النبذة...،ص:18.

14 ـ ينظر:محمد بن أب المزمري(1160هـ) حياته وآثاره، أحمد أبا الصافي جعفري، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط: 01، 1425هـ/ 2004م، ص: 13.

* ـ وإلى هؤلاء ينتمي محمد الزجلوي المترجم له.

15 ـ ينظر: "التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات وحضارتها"، محمد باي بلعالم، (محاضرة) ألقيت في أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار، نقلا عن الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، ولاية أدرار 13 ـ 14 شعبان 1405هـ / 3 ـ 4 ماي 1985م، ص:44 و45.

16 ـ ينظر:"استقرار العرب وإنشاء المدن والقرى في المغرب الوسيط"، بوخالفة نور الهدى، (محاضرة)، التغييرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفة، جامعة منتوري قسنطينة، 2001م.

إن القبائل العربية التي هاجرت إلى توات كان لها وقع إيجابي على المنطقة؛ إذ مكنت للغة العربية أن تتبوأ تلك المكانة التي ستأخذها في القرون القادمة، كما مكنت للدين الإسلامي من الانتشار في هذه الربوع، وحملت معها المدنية والعمران، فقد ظهر بعد هذا القرن في توات علماء حملوا لواء الإسلام إلى إفريقيا الغربية، وخلفوا آثارا مازالت شاهدة إلا أنها حبيسة الخزائن الأثرية المنتشرة هنا وهناك في المنطقة وخارجها، وذلك في مختلف الفنون والعلوم.

ما كان ليكون ذلك العطاء المتواصل، وتلك الحركة الثقافية والعلمية في مختلف الفنون والعلوم لولا:

1 . توافد عدد كبير من العلماء والصالحين إليها من كافة الأقطار والمناطق؛ من المغرب والمشرق وغيرهما فساهموا في نهضة البلاد وبث روح الثقافة فيها[17].

2 . تواجد الأمن والاطمئنان في المنطقة عبر العصور.

3 . الإقليم لم يخضع للسلطة العثمانية كما خضعت لها معظم البلاد الإسلامية.

4 . الموقع الاستراتجي الهام حيث كانت طريقا للقوافل مما سمح بتبادل الأفكار، وتوفر وسائل العلم من صمغ وورق...

5 . عكف الكثير من مشايخ توات المشهود لهم بالكفاءة على دراسة آداب اللغة العربية وأصول الدين[18].

6 . خصال الرجل التواتي وحبه للعلم وتطلعه للمعرفة وإيمانه بأن العلم أفضل سلاح لمواجهة الحياة والأعداء.

7 . تنقل علماء توات إلى مختلف المدن وبخاصة المغربية(فاس وسجلماسة) منها بحثا عن العلم ومجالسة العلماء والأخذ عنهم.

8 . تأسيس الزوايا والمدارس العلمية التي كان لها الفضل الكبير في نشر العلم والثقافة بالمنطقة.

---

17 ـ النبذة في تاريخ توات وأعلامها ...، ص: 42.

18 ـ إقليم توات بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين،ص:85.

ومن الزوايا التي ذاع صيتها في توات أذكر زاوية سيدي علي بن حنيني ت:(1118هـ) بزاجلو هذه الزاوية التي تأسست في القرن الحادي عشر الهجري، والتي ظهر فيها العديد من العلماء، ذَكَر أمحمد الزجلوي[19] بعضا منهم في قصيدة من ثلاثة وستين بيتا، وهو في تافيلالت بالمغرب الأقصى طالبا للعلم هناك بعد أن اشتاق إلى بلاده، فقال في مطلعها:

ولما تغربنا وقلّ مساعـد ونفسي لشدة الفراق تـراود

تذكرت إخوانا لنا ومعارفا وما قد مضى من عهدنا متباعد

ونحن بغرب حول شيخ المعارف وقد ضاق صدري طالما أنا جاحد

ويبدأ في ذكر أعلام الزاوية فيقول:

فأولُ أهلِ الخيرِ موسى وبعدهُ عليٌّ بحجِ البيتِ تَمَّتْ مقاصدِ

هما سيدانِ آخذانِ بسنّة فسل بهما تعطى فإنك واجد

وأما مَحمد أخو الصبرِ والرضا فما دأبُه إلا الثنا والمحامـد

ويختمها بقوله:

وشَمِّرْ عن ساقِ الجدِّ واكتسبِ التُّقى وسلِّم ولا تَعْتبْ فإنك وارد

إلهي صل ثم سلم على النّبي وآله والصحب فإنك واحد[20]

19 ـ ينظر ترجمته في هذا البحث، ص:12.

20 ـ القصيدة كاملة مخطوطة في خزانة أنزجمير.

أولا: عصر المؤلف وترجمته.



❖ ترجمة المؤلف.

❖ عصر المؤلف:

عاش محمد الزجلوي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، وعرف هذا العصر بعصر القضاة لأن المنطقة كانت تحت حكم القاضي الذي كان له الحكم التشريعي المنبثق من تعاليم الشريعة الإسلامية ،بينما كان الحكم التنفيذي لشيوخ القبائل في المنطقة بأكملها، ويبدأ هذا العصر من وفاة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ت(909هـ)، إلى دخول الاستعمار الفرنسي إلى المنطقة سنة 1317هـ ـ 1900م. فكيف كانت الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية في هذه العصور بالمنطقة؟

1 . الوضع السياسي والاجتماعي:

لقد كان الحكم في المنطقة بيد القضاة وشيوخ القبائل؛ فالقاضي هو صاحب القرار ولا أحد يرد حكمه، ويساعده في التنفيذ رؤساء القبائل، وقد عرف هذا العصر فتنة (يحمد وسفيان) التي زاد من تسعير نارها حكام المغرب الأقصى مخافة اتحاد القبائل وتشكيل إمارة على غرار ما فعل محمد بن عبد الكريم المغيلي. وعلى الرغم من هذه الفتنة التي كادت تقسم ظهر التواتيين إلا أن مظاهر التآلف والتكافل الاجتماعي الموروث عن الدين الإسلامي كان بارزا على المجتمع التواتي من كرم الضيافة وتبادل الزيارات...[21]

2 . الوضع الاقتصادي:

قامت الحياة الاقتصادية في المنطقة على أربعة أنشطة هي: التجارة، والزراعة، والصناعة، والرعي، ولا تكاد الحياة الاقتصادية في أي منطقة في العالم تقوم إلا على هذه الأنشطة.

- **التجارة:**

مما لا شك فيه أن المجتمعات تحتاج إلى تبادل تجاري داخلي وخارجي فالداخلي يكون بين الأهالي والتجار المحليين وذلك قصد جلب المواد الاستهلاكية، أما الخارجي فهو يعتمد على القوافل القادمة من المغرب والسودان بغرض استبدال سلعتها بالسلع المحلية التي بحوزة التجار المحليين، يقول العياشي :"وهذه البلدة (تسابيت) هي مجمع القوافل الآتية من بلاد تنبكت ومن بلاد اقرن ومن أطراف السودان ويوجد فيها من البضائع والسلع التي تجلب من هناك شيء كثير والسلع التي تجلب من الغرب مما هو خارج السودان نافقة في هذه البلاد كالخيل وملابس الملف والحرير، فإذا قدم الركب إليها كان فيها سوق حافل."[22].

ولقد كانت هذه الأسواق الداخلية المنتشرة في القصور والمدن التواتية القلب النابض للنشاط التجاري، ويصف العياشي سوق منطقة بتسابيت فيقول: "وأقمنا بها ستة أيام وبعنا بها خيلنا وما ضعف من إبلنا واشترينا ما يحتاج إليه من التمر،وبها من التمر أنواع كثيرة، ووجدنا التمر فيها رخيصا...وغالب

---

21 ـ ينظر: النبذة في تاريخ توات وأعلامها...، ص:22 ـ 26، وإقليم توات خلال القرنين ...، ص:32 ـ 38.

22 ـ الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، مولاي بالحميسي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1979م، ص: 70.

أهلها عوام أهل تجارة جل عيشهم التمر."[23]، ولم تكن هذه الحال في سوق تسابيت وحدها بل كانت كل أسواق الإقليم على تلك الحالة[24].

- **الزراعة:**

على الرغم من صعوبة الزراعة في المناطق الصحراوية ذات الرمال الكثيفة، إلا أن سكان توات كانت الزراعة هي موردهم الاقتصادي الرئيسي؛ فقد وجد الأهالي في مجاري الأودية القديمة أو قربها المكان المناسب لغرس النخيل وبقية المنتوجات الفلاحية، ففي تلك المناطق تتشكل البساتين والحدائق وواحات النخيل، كما أوجدوا طريقة بديعة لجلب المياه من المناطق المرتفعة وتمثلت في نظام الفقاقير[*]، ويعود تاريخ الفقاقير في توات إلى عهد الفراعنة[25] وطريقة توزيع مياهها كانت دقيقة وعادلة وبديعة، وبفضل مياه هذه الفقاقير يقوم السكان بزراعة النخيل وتحت ظلالها يزرعون الحبوب بشتى أنواعها والخضروات والفواكه والحنة...، والمراعي بالمنطقة قليلة إن لم نقل منعدمة وذلك يرجع إلى تواجد المنطقة في الصحراء ولهذا فأهالي توات يعتمدون على شراء اللحوم المجففة التي تجلب من السودان والمغرب.

- **الصناعة:**

إن افتقار المنطقة إلى المواد الأولية للصناعة المتطورة في تلك العصور جعل سكان توات يعتمدون على القوافل القادمة من الشمال في اتجاه السودان والتي كانت تجلب معها بعض المواد الأولية كالصوف والجلود والقطن والحديد... مما جعل بعض الصناعات المحلية واليدوية تنتشر في ربوع المنطقة؛ فصنعوا

---

23 ــ الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ص: 69.

24 ــ ينظر: إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، 63 ــ 68.

* ــ الفقاقير:هي مجموعة آبار متصلة ببعضها البعض بواسطة قنوات تحت الأرض، وتبدأ الفقارة من مكان مرتفع حتى تصل إلى مكان منخفض، فتظهر المياه على وجه الأرض لتجد في نهايتها حوضا يعرف بالقصرية، ومنه يتم توزيع المياه على الملاك (الفلاحين) كل على حسب حصته شراء أو عملا في الفقارة، ومن القصرية يشق كل مالك نصيبه في قنوات إلى بستانه حيث تتجمع المياه في حوض كبير يعرف بالماجل ومنه تسقى المزروعات.

25 ــ ينظر: النبذة في تاريخ توات وأعلامها...، ص: 40 و41.

الجلود والملابس وبعض الأدوات الحديدية كالسكاكين والسيوف وغيرها، كما اعتمدوا على المواد الأولية المحلية المتوفرة في المنطقة ألا وهي مادة الطين(الفخار)؛ فصنعوا منها مختلف أمتعة المنازل من أواني لحفظ المياه وأواني الطبخ والأكل، وكذلك اعتمدوا في الصناعة اليدوية على النخيل فاستغلوا منها كل شيء فيها (جريدها، ليفها، وجذعها...) فصنعوا منها الحبال والأبواب والأقفال والسلل وبعض الأواني المنزلية، وهكذا استطاع الرجل التواتي أن يستغل كل ما منحته الطبيعة لتبسيط الحياة في هذه المنطقة الصحراوية الصعبة المراس.

3 . الوضع الثقافي والتعليمي:

إن الوضع الثقافي في المنطقة عرف انتعاشا منذ دخول العرب والدين الإسلامي إلى هذه الربوع حيث حمل معه حركة ثقافية واسعة؛ فقد راح الناس يقبلون على تلقي العلم والمعرفة من أفواه العلماء في مختلف العلوم الشرعية واللغوية والعقلية في المدارس والزوايا، ومع تقدم العصور كان القرن الثاني عشر (18م) وبداية القرن الثالث عشر عصرا ذهبيا في تاريخ المنطقة[26]، والسبب في ذلك هو تواجد عدد كبير من العلماء؛فقد عكف الكثير من مشايخ توات المشهود لهم بالكفاءة عل دراسة آداب اللغة العربية وأصول الدين إلى جانب اشتغالهم بالتدريس في المساجد والزوايا وغيرها من مؤسسات التعليم التي كانت منتشرة داخل توات، وهكذا لم يخلُ قصر أو مدينة تواتية من مدرسة قرآنية أو زاوية. ومن هؤلاء محمد الزجلوي.

❖ ترجمة المؤلف:

[26] ـ محمد بن اب 1160هـ حياته وآثاره، ص:32.

1 . **اسمه ونسبه**:

هو أبو عبد الله[27] مُحمد بن امحمد بن أحمد بن مُحمد بن أبي بكر الأنصاري نسبا، التواتي وطنا وبلدا، الزجلوي منشأ[28]، يرتفع نسبه إلى الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري، ولد قبيل منتصف القرن الثاني عشر الهجري (12هـ)، في أسرة اشتهرت بالعلم والمعرفة؛ فهذا والده امحمد الذي كان أحد أعلام المنطقة تعلّم بسجلماسة في المغرب الأقصى، وتلمسان النحو وأصول الفقه، وكان مفتي الديار التواتية ، ولُقِّبَ مُحمد بـ: (ابن العالم).

كان مُحمد أحد أعلام المنطقة، يقول فيه صاحب الدرة الفاخرة عبد القادر بن عمر بن عبد الرحمن التينيلاني ت(1256هـ): "كان رحمة الله أحد الأعلام وأحد المجتهدين في عصره، وكان أهل عصره يبالغون عنه في الثناء."[29]

2 . **طلبه للعلم**:

تلقى علومه الأولى بمسقط رأسه على يد والد الشيخ امحمد أحميد فحفظ القرآن الكريم ثم حفظ المتون التي كانت مشتهرة في زمانه، منها مختصر خليل، فهو يقول عن قراءته لمختصر خليل على يد والده: "وابتداء قراءته (أي مختصر خليل) عند الوالد في ربيع الأول من عام ثمانية وخمسين (بعد ألف ومائة) 1158هـ إلى أن ختمته عليه ثم عاودته عليه..."[30] .

من خلال النص السابق يتبين لنا أن بداية تعلمه كانت على يد والده . كيف لا ووالده هو أحد العلماء المشهود لهم بالعلم . فقرأ عليه مختصر خليل أكثر من مرة، ثم انتقل إلى تينيلان . وهو في حداثة سنه . حيث يوجد عالم ذلك الزمان الشيخ عبد الرحمن بن عمر، فأخذ عنه فنونا كثيرة.

---

27 ـ ذكره صاحب الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، عبد القادر التينيلاني، مخطوط في خزانة ابن الوليد بيا عبد الله، ص: 16.

28 ـ تسهيل الإرشاد للدرر المتعينة من الأصول والفروع على مذاهب عالم المدينة، محمد الزجلوي، مخطوط بخزانة عباني، ص: 1.

29 ـ الدرة الفاخرة، ص: 16، ولعله يقصد يبالغون في الثناء عليه.

30 ـ الوجيز على مختصر خليل، محمد الزجلوي، مخطوط بخزانة كوسام، والشيخ باي بأولف، ص: 1.

3 . **فضائله وخلقه**:

تحلى مُحمد الزجلوي بأخلاق حميدة وفضائل جمّة ناهيك عن العلم، قال فيه صاحب الدرة الفاخرة: "وكانت فيه من المحامد والمكارم ما يستغرق الوصف، وفضله أشهر من أن يوصف... ولولا خوف الإطالة لأوردت من خبره طرفا كبيرا."[31]، وقد حظي الرجل بمكانة مرموقة عند شيخه عبد الرحمن بن عمر؛ الذي انتقل إلى مدرسته في سن مبكرة وأخذ عنه النحو والفقه والتفسير...

4 . **مشاركته في مجلس الشورى**:

لما تولى القاضي عبد الحق بن عبد الكريم بن البكري[32] ت(1210هـ) القضاء في توات اختار لمشورته أربعة من العلماء الأفاضل، قال عنهم صاحب جوهرة المعاني: "أربعة أشياخ لم تسمح الوقت بأفضل منهم في صناعة القضاء."[33]؛ والأربعة هم: عبد الرحمن بن عمر، عبد الكريم الحاجب[34]، ومحمد بن الحاج عبد الله التمنطيطي[35]، ومُحمد بن العالم الزجلوي.

ما كان لمحمد الزجلوي أن يكون في مجلس قضاءٍ رئيسُه القاضي عبد الحق . الذي عُرف بشدته العمرية في العدل . لولا علمُه وزهدُه ونزاهتُه وخلقُه، وما كانت تسجل في سجلات القاضي عبد الحق عقود أو غيرها إلا بعد استشارة مستشاريه الأربعة[36]. وانظر كيف ارتقى إلى تلك المرتبة مع شيخه ومن هم أكبر منه سنا.

5 . **شيوخه**:

أخذ العلم عن عدد من الشيوخ كان أبرزهم وأكثرهم تأثيرا في تكوين شخصيته شيخان:

---

31 ـ الدرة الفاخرة،ص:16.

32 ـ هو عبد الحق بن عبد الكريم بن البكري بن عبد الكريم بن أمحمد بن أبي أمحمد بن أحمد بن ميمون، تولى القضاء عام 1174هـ، بعد وفاة والده . (ينظر: جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني، محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، مخطوط بخزانة المطارفة، ص: 21، والنبذة في تاريخ توات وأعلامها...، ص: 154.).

33 ـ جوهرة المعاني، ص:22.

34 ـ هو عبد الكريم بن محمد الصالح بن البكري بن عبد الكريم، وُلد في تنمطيط عام 1118هـ كان عالما وعاملا وفقيها وزاهدا أخذ عن جده، وعن والده علم النحو والفقه والتفسير واللغة العربية (جوهرة المعاني، ص: 21، والنبذة في تاريخ توات وأعلامها...، ص: 160.).

35 ـ لم أقف له على ترجمة.

36 ـ ينظر: نفسه، ص: 22.

1 . امحمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر الأنصاري: وهو والده، وُلد ما بين نهاية القرن الحادي عشر ومطلع القرن الثاني عشر الهجريين، تعلّم في تلمسان فأخذ عن ابن بوكلخ، والمغرب، فأخذ عن علمائها أمثال عبد الواحد القدوسي بسجلماسة وعن أحمد بن ناصر الدرعي[37]، ثم عاد إلى زاوية زاجلو ليقوم على التدريس فيها، في سنة 1174هـ كان حيا[38].

2 . عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن معروف بن يوسف بن أحمد بن يوسف التينيلاني، أخذ عن شيوخ من توات وآخرين من أقطار أخرى كالمغرب وغيرها؛ فمن التواتيين عمر بن عبد القادر التينيلاني(1152هـ)، والشيخ محمد بن اب المزمري[39] ت(1160هـ)، ومن المغاربة أحمد بن عبد العزيز بن إبراهيم الهلالي، كان أحد أعلام المنطقة وإليه تشد الرحال في طلب العلم .

3 . عمر بن عبد القادر التينيلاني (1098 ـ 1152هـ)ولد بقرية تينيلان عام 1098هـ حفظ فيها القرآن الكريم وفيها كانت بدايته العلمية، ثم انتقل عام 1117هـ إلى مدينة فاس المغربية تلقى من شيوخها، ثم جلس للتدريس بجامع القرويين إلى سنة 1129هـ، ثم عاد إلى بلدته وجلس فيها للتدريس، ثم تولى القضاء عام1133هـ، ومال في آخر عمره إلى التصوف فاعتزل الناس، توفي 3 من ربيع الأول 1152هـ[40].

6 . **تلاميذه:**

تتلمذ على يد محمد الزجلوي عدد كبير من التلاميذ الذين حملوا مشعل العلم بعده منهم:

37 ـ هو أبو العباس أحمد بن حمد بن ناصر الدرعي ولد بدرعة سنة 1057هـ أخذ عن والده التفسير والحديث ومختلف العلوم كما أخذ عن غيره تصدر مشيخة الزاوية الناصرية بعد والده، توفي سنة 1129هـ. (فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة منهجيتها ـ تطورها ـ قيمتها العلمية، عبد الله المرابط الترغي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، جامعة عبد الملك السعدي، ط: 1، 1420هـ ـ 1999م، ص: 662.).

38 ـ ينظر: الوجيز في شرح مختصر خليل، ص: 1، وهذه الترجمة مقتبسة من نوازل الزجلوي (مخطوط)، محمد الزجلوي وآخرون، صورة منه عند الأستاذ محمد جرادي، جامعة ادرار.

39 ـ هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن أبي بكر المزمري وهو نحوي ولغوي وعروضي له العديد من المنظومات في النحو والعروض ...(ينظر:جوهرة المعاني، ص: 30، ومحمد بن أب المزمري حياته وآثاره، ص: 59.).

40 ـ ينظر: جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني، ص: 23، والنبذة في تاريخ توات وأعلامها...، ص: 67.

1 . أبو العباس أحمد زروق بن أبي عبد الله بن محمد بن موسى الجعفري،كان إماما عالما في الفقه وأديبا، له شعر جيد، كان صالحا، سافر إلى فاس وأخذ عن علمائها، تولى القضاء 1244هـ، وتوفى 1245هـ[41].

2 . عبد الله بن عبد الرحمن التينيلاني: لم تذكر المصادر عنه شيئا إلا ما جاء في الدرة الفاخرة حيث أنه كان عالما بالحديث ومتقنا، لازم والده الشيخ عبد الرحمان بن عمر وقتا طويلا توفي عام 1221هـ[42].

3 . عبد الرحمن بن إدريس(1181هـ . 1233هـ): كان عالما ماهرا بالفقه والتفسير، له رحلات عديدة إلى الجزائر المحروسة، وإحدى رحلاته مدونة[43]، كان شديد الحفظ سافر إلى فاس وأخذ عن ابن شقرون، وفته المنية أثناء عودته من الحج في شهر جمادى الثانية من عام 1233هـ.[44]

4 . عبد الله بن أبي مدين بن أبي بكر التمنطيطي(1189هـ . 1231هـ): أخذ علم التجويد عن والده ،كما كان أحد أقطاب عصره في العلم ومن أعيان العلماء[45]، حاور العديد من علماء عصره في مسائل كثيرة، كما انفرد في وقته بعلم الأصول، توفي عام 1231هـ[46].

5 . الحسن بن مُحمد الزجلوي: وهو ابن المترجم له، لم تذكر المصادر عنه شيئا إلا صاحب الدرة الفاخرة، إذ يقول: "كان رحمه الله إماما حافظا متقنا وانتهى إليه علو الإسناد بالديار التواتية، وكان يتحرز في الفتوى"[47]

6 . عبد الرحمن بن أمحمد الزجلوي: وهو أخو المترجم له، لم تذكر المصادر عنه شيئا إلا صاحب الدرة الفاخرة، أخذ العلم عن والده، وعن أخيه(مُحمد)، وعن محمد بن عبد الله الونقالي، وكان من أبرز علماء العصر، وكان فظا ومعه صلابة في الحق[48].

---

41 ـ الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، ص: 13.
42 ـ نفسه،ص:14.
43 ـ هذه الرحلة مخطوطة بخزانة ابن الوليد با عبد الله .
44 ـ ينظر: الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، ص: 14.
45 ـ ينظر الدرة الفاخرة، ص: 16.
46 ـ جوهرة المعاني، ص: 30.
47 ـ الدرة الفاخرة، ص: 16.
48 ـ ينظر الدرة الفاخرة، ص: 16.

7 . آثاره:

خلّف محمد الزجلوي بعد وفاته أثارا كثيرة مازالت حبيسة رفوف الخزائن في المنطقة:

- **الكتب:**

كان لمحمد الزجلوي حظ في التأليف والكتابة وإن كان جل ما كتبه وألفه شروحا لمتون تناولها الناس في المنطقة إلى يوم الناس هذا بالحفظ والدراسة، ومن كتبه:

أ . **تسهيل الإرشاد للدرر المتعينة من الأصول والفروع على مذاهب عالم المدينة**(الكتاب من جزأين):

والكتاب هو شرح لمنظومة "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين المسمى متن ابن عاشر" ،هذه المنظومة التي عكف الناس على حفظها ودراستها في هذه المنطقة، وغيرها من مناطق المغرب العربي .ويقول الزجلوي أن تسمية الشرح بهذا الاسم هي ملفّقة من أسماء شروحه(49)،فبعد أن قدّم نفسه،وذكر أسباب التأليف ،والمصطلحات الواردة في الشرح ،وتسمية الكتاب،شرع في شرح المنظومة،حيث يقول:"يقول:فعل مضارع، وأصله يَقْوُلُ نقلت ضمة عينه إلى فائه،وفاعله عبد الواحد،وابنُ بالرفع أيضا نعته،وأضافه إلى عاشر وهو جدُّ أبيه..."(50)وهكذا فهو يُعوِّل على النحو كما رأينا كثيرا.

---

49 ــ ينظر تسهيل الإرشاد...ن2/1.
50 ــ نفسه،2/1.

وقد تلقى المجتمع التواتي هذا الكتاب بقبول حسن حيث قال فيه عبد الحق بن عبد الكريم بن الشيخ البكري قصيدة من خمسة عشر بيتا وهي من البحر الكامل:

يا من يريد من النقول أصحها   خذ ما تراه بتسهيل الإرشاد

حاز النفيس والجواهر كلها   طالع قدر ما قلت في الإنشاد[51]

ب . **الوجيز في شرح مختصر خليل.**

وقد ألف هذا الشرح بإشارة من شيخه عبد الرحمن بن عمر،وغيره،حيث يقول عنه:"والباعث عليه ما كنت قيدته في سن الحداثة بين سطور نسختي منه وهوامشها وفي بطاقات معها،فخفت عليها يد الضياع بتلاشي حروفه وتناثر رسومه،على أن شيخنا العلامة الصالح الأستاذ أبا زيد بن عمر رحمه الله تعالى قال لي يوما مستفهما:وهل كنت تقيد على المختصر شيئا؟ فاستعظمت ذلك له ،فقال لي:إن كنت فاعلا، فضع الحاشية عليه لا الشرح.وأشار علينا في هذه الأواخر غيره من الفقهاء بجمع ذلك خوفا من ذهابه بذهاب العمر ،ثم الولد الطائع أرشده الله بعده."[52]

ويقول موضحا عمله في الشرح:" فهذا شرح لطيف المترع وجيز المشرع،قصدت به إن شاء الله إلى حل ألفاظ المختصر من شروحه المحررة وأصوله المعتبرة،مع زيادة ماله من الفروع المهمة التي لها تعلّق بالباب، ويحسن موقعها عند أولي الألباب"[53].

ج . **شرح على منظومة التلمسانية:**

هو كتاب شرح فيه منظومة التلمسانية في علم الفرائض يقول عنها:"هذا تعليق لطيف الإشارة ،حسن العبارة،يسير المادة،مليح الإفادة من المِنح الإلهية على القصيدة التلمسانية..."[54]والمنظومة لأبي إسحاق إبراهيم بن أبي بكر التلمساني.

د . **نوازل الزجلوي:**

---

51 ـ القصيدة كاملة في تسهيل الإرشاد،1/الصفحة الأخيرة.

52 ـ الوجيز في مختصر خليل، ص:1.

53 ـ نفسه،ص:1.

54 ـ شرح التلمسانية ،محمد الزجلوي،مخطوط بالخزانة البكرية بتمنطيط.لم أعثر إلا على ورقة واحدة منه.

هو كتاب جمع فيه نوازل أبيه ولم يكن له دور الجمع فحسب بل كان يبدي رأيه في بعض المسائل (مرجحا،ومعلقا،ومجيبا أحيانا).

- **المنظومات**:

اشتهرت عند الزجلوي منظومتان هما:منظومة التفسير،ومنظومة الغريب،لكنني عثرت له على منظومة ثالثة وهي منظومة الالتزام.

أ . **منظومة ألفية الغريب**:وهي موضوع الدراسة.

ب . **منظومة ألفية التفسير**:

هي منظومة من ألف بيت وزيادة ،وهي سابقة لألفية الغريب ،وقد أشار إليها بنفسه في منظومة الغريب قائلا:

وأدوات النحو في التفسير أشبعت فيها القول في التقرير[55]

ونذكر من أبياتها بعض ما أشار إليه صديقه وصاحبة في مجلس الشورى بتمنطيط عبد الكريم الحاجب:

55 ـ ينظر:النسخة (ا) من ألفية الغريب ،حاشية عبد الكريم الحاجب ،ص:2.



أو المواطأة في معناه　　　من النظائر التي ترعاه[56]

ومن أبياتها كذلك:

فهذه الصحابة العرباء　　　قد أشكلت فوقفوا أشياء

وفي الحديث من يقل برأيه　　　فهو في النار بسوء سعيه

وفيه أيضا أخطأ المصيب　　　رأيا وكفر مخطئ يريب[57]

ج . **منظومة الالتزام:**

هذه المنظومة قد عثرت عليها في إحدى خزائن انزجمير ،وهي منظومة تتكون من أكثر من 300 بيت لخص فيها ما جاء في كتاب(تحرير الكلام في مسائل الالتزام) للحطاب في موضوع الالتزام،ويقصد بالالتزام :إلزام الشخص نفسه شيئا من المعروف مطلقا أو معلقا[58] يقول في مطلعها:

يقول راج رحمة ربه الغفار　　　محمد بن العالم الأنصاري

المالكي الزجلوي الدار　　　مبتدئا اسم الإله الستار

الحمد لله الذي قد ألزم　　　عباده الإخلاص فيما ألزما

وأوجب اتباع مصطفاه　　　والفوز بالوفا لمن قفاه[59]

56 ـ قال عبد الكريم الحاجب:"هذا البيت من ألفية التفسير بتغيير في آخره."(ينظر:النسخة(أ)،حاشية عبد الكريم الحاجب،ص:2.)

57 ـ المصدر السابق،ص:3.

58 ـ تحرير الكلام في مسائل الالتزام،الحطاب،مخطوط.بعض الأوراق منه عند باسيدي ،أولاد بوحفص أدرار.

ثم يقول مبينا سبب النظم ومصدره:

وبعد فالقصد بما ينتظم   تلخيص الالتزام فيما يخصم

وهْو كتاب الجمع في أنواعه   لم يسبق الحطاب في إبداعه

جئت به مرتبا كأصله   ولم أزده غالبا لفضله(60)

ويختمها بقوله:

وها هنا قد انتهى الكلام   وانتجز التقسيم والإعلام

[...](61)التلخيص باعتناء   مهذبَ الفصول والأنباء(62)

حتى يأتي إلى النهاية فيذكر تاريخ الانتهاء من النظم.

في الخمس والسبعين بعد المائة   يسَّر لي النفع به والفئة

بجاه سيد الورى محمد   صلى عليه الله طول الأبد

وآله وصحبه الكرام   وتابعيهمُ على الإسلام(63)

د . القصيدة السَّنِيَة في القواعد السُّنِّية:

هذه القصيدة لم أطّلع إلا على صفحتين منها:الأولى والأخيرة ومما جاء في صفحتها الأولى:

وفضل ذكر على الأذكار قاطبة ذكرك لا إله إلا الله.

أصدق قول يقول فتى بالصفا لا إله إلا الله.

أعظم شيء يُنال به أقصى الهنا لا إله إلا الله.

---

59 ـ منظومة الالتزام ،محمد الزجلوي،مخطوطة بخزانة أنزجمير،ص:1.

60 ـ نفسه،ص:1.

61 ـ النسخة متآكلة وهذه الكلمة غير واضحة بحيث لم يبق منها إلا الحرف الأخير(ك).

62 ـ نفسه ينظر وجه الورقة الأخيرة من المخطوط.

63 ـ ينظر:منظومة الالتزام ظهر الورقة الأخيرة من المخطوط.

وأوثق حبل اعتلقت به خوف الهلاك لا إله إلا الله.

ومما جاء في صفحتها الأخيرة:

لحظات عطفك أرتجي يا سيدي   وانظر لعبدك بالنبي محـمد

وامنن بجودك يا جواد ومحسن   أنت الذي تعطي وتسمح في غد

ويختمها بقوله:

استغفر الله إن الله يرحمنا   فارحم عبيد أتى يرجوك في الأمل

استغفر الله مما كان مستترا   استغفر الله من وقتي إلى أجلي[64]

وحسب المتاح من هذه القصيدة أستطيع أن أقول: إن موضوعها يتعلق ببعض الأذكار والتوسلات والابتهالات،والله أعلم.

- **بقية الأشعار**:

بالإضافة إلى المنظومات إن لمحمد الزجلوي أشعارا أخرى كثيرة منها ما هو في الرثاء وغيره ،ومن قصائد الرثاء هذه المرثية التي رثى بها شيخه أبا زيد عبد الرحمن بن عمر التينيلاني فقال [من البحر الكامل]:

وإذا ذكرتَ من الحوادثِ جمّة   فاذكر رزية لا رزية عوْضـها

واذكر أبا زيد وروعة فقـده   وتلهف الإسلام منه ورحضـها[65]

64 ـ القصيدة السنية في القواعد السنية،محمد الزجلوي،مخطوط بخزانة أنزجمير.

إن كان لا يبكيك حسن مثاله ... فازدب لقسوتك العيون وحُضَّها[66]

يا عين جودي بالدموع لفقد من ... لمصابه بكت السماء وأرضها[67]

إن شعر محمد الزجلوي جاء مبثوثا في مؤلفاته العديدة؛فهو لم يكتبه في ديوان شعري،كما أنه لم يخصص له كتابا كتبه فيه،ومن تلك الأشعار ما يأتي:

أرجوزة في موضوع الأحباس (الأوقاف) مطلعها:

مسألة لا خلف بين الناس ... في منع بت قسمة الأحباس

وأن ما جرى في الاغتلال ... على ثلاثة من الأقوال

والمنع والجوز والتفريق ... للنهى في الثمار عن التحقيق[68]

وفي نفس الموضوع يرد مجيبا على سؤال [من البحر الطويل]:

ثنائي على المولى أقدم أولا ... وأزكى صلاة للنبي على الولا

رفعت سؤالا من نوازل عدة ... إلى عالم بالفقه ما كان أغفلا[69]

---

65 ـ الرحض:الغسل،ويقال:رَحِضَ الرجل رحضا:عرق حتى كانه غُسِل جسدُه...والرحضاء العرق في أثر الحمى(لسان العرب،مادة(رحض)،121/6.)، ولعل الشاعر يقصد أن المسلمين لمّا سمعوا بموت الفقيد أصابتهم الحمى فتصببوا عَرَقا.

66 ـ ازدب :احتمل،يقال ازدبيتُ الشيء إذ احتملته(الصحاح،مادة(زبى)،2366/6.)،والحض: الحث في السير والسوق، (لسان العرب،مادة(حضض)، 151/4.)،ولعل الشاعر هنا يقصد الحض على الدمع.

67 ـ الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، محمد باي بلعالم،دار هومة الجزائر،د ط،د ت،407/1.

68 ـ نقلا عن محاضرة لمحمد باي بلعالم في أشغال ملتقى (محمد الزجلوي)بزاوية كنتة سنة 2005م،نص المحاضرة تحت يدي،ص:9.

69 ـ المرجع السابق،ص:10.

وفي ذات الموضوع له هذه القصيدة [من البحر الطويل]:

فسبحانك اللهم ما أنت أهله ثناء ولا أحصيه ما دمت موصلا

وأزكى الصلاة والسلام تحية على المجتبى المختار في الخلق اكملا

وبعد فالاستفتاء في العلم أسه فأكرم به من عالم قد تأهـلا

فأما جواب الحبس فاعلم بأنه تناقض مبناه بما قد تفصـلا[70]

وله بيتان في صفة البعث وما يتصل به...من البحر البسيط المقطوع:

بَعْثٌ وَحَشْرٌ قِيَامُ النَّاسِ عَرْضُهُمُ فَالصُّحْفُ قَبْلَ الحِسَّابِ ثُمَّ مِيْزَانُ

عَلَى الصِّرَاطِ فَحَوْضٌ بَعْدَهُ جَنَّة أَوْ هُوَ قَبْلَ الحِسَّابِ ثُمَّ نِيْرَانُ[71]

8. مظاهر ثقافة الزجلوي من خلال آثاره:

إن المطلع على آثار الزجلوي يدرك عمق ثقافته الواسعة كيف لا وقد تتلمذ على يد شيخين كانت تشد لهما الرحال في طلب العلم ،وإن ما خلّفه الزجلوي وراءه من آثار ليدل أشد الدلالة على رسوخ قدمه ،وتمثله في مختلف الجوانب المعرفية التي كانت تشكل المشهد الثقافي في عصره،وفي هذه الوقفة نحاول استجلاء مظاهر ثقافة الرجل المتنوعة ، ومنها:

- **الثقافة القرآنية:**

إن للزجلوي في هذا المجال علو شأن وقدر،وما منظومتاه في التفسير والغريب إلا دليل على ذلك. ونتحسر كثيرا لضياع منظومة التفسير. ولكن من خلال منظومة الغريب يتضح لنا قوة الرجل وبراعته في التفسير وإلمامه بهذا الجانب؛ حيث لم يغفل القراءات القرآنية المختلفة والتي كان لها تأثير على المعنى فقوله :

أزال نحى فأزل فاستزل سيان في الحمل على الزلل

70 ـ محاضرة محمد باي بلعالم في أشغال ملتقى (محمد الزجلوي)،ص:11.

71 ـ تسهيل الإرشاد،40/1.

وقوله: عُمَّيت وعَمِيت...

وغيرهما كثير في المنظومة وأراد من خلال المثالين أن يبرز أثر القراءات في الدلالة اللفظية.

- **الثقافة الحديثية:**

يحتج الزجلوي ويستشهد كثيرا في آثاره بالحديث النبوي الشريف وذلك لشرح لفظة من الألفاظ القرآنية كما هو واضح في بعض الألفاظ من ألفية الغريب،يقول:

والصور قرن النفخِ.

وهو مأخوذ من حديث نبوي شريف:حينما سئل صلى الله عليه وسلم عن الصور قال:"قرن ينفخ فيه"[72].

- **الثقافة الفقهية:**

ويتجلى ذلك بوضوح في كتابيه "الوجيز في مختصر خليل"،و"تسهيل الإرشاد" وبشكل خاص في مذهب الإمام مالك، وهو المذهب الذي يسير عليه كل الناس في المنطقة.

- **الثقافة اللغوية:**

اهتمامه بدلالة الألفاظ القرآنية لدليل على قدرته وبراعته في التفسير اللغوي،وقد تراه في منظومة ألفية الغريب يبدأ لك بالشرح اللغوي ثم يأتي المعنى الشرعي والاصطلاحي كما في شرحه للفظة الصوم.[73]

وما عنايته الكبيرة بالاشتقاقات وإبراز معنى كل مشتق إلا دليل آخر على معرفته بعلم الصرف،وأما معرفته في علم النحو قد أوضح بنفسه في مقدمة ألفية الغريب أنه أشبع القول في أدوات النحو في ألفية التفسير . هذا المصدر المهم المفقود . ولعل ما يبين لنا اهتمامه بالنحو وتعويله عليه هو كتابه "تسهيل الإرشاد".

---

72 ـ الحديث أخرجه الترميذي،والدرامي،وغيرهما.

73 ـ ينظر:هذا البحث قسم التحقيق،ص:286.

وواضح جدا ثقافة الزجلوي في فقه اللغة وذلك في مقدمة ألفية الغريب وفي ثنايا حديثه فقد طبق على الترادف والوجوه والنظائر والأضداد وغيرها.

9 . **وفاته**:

توفي محمد الزجلوي يوم الثلاثاء 23 من شهر شوال سنة 1212هـ.[74] الموافق لـ:09 أفريل 1798م،في بلدته زاجلو وبها دفن رحمه الله تعالى.

---

74 ـ كتاب قطف الزهرات...،ص:123.

ثانيا:دراسة المنظومة(الكتاب)

- مفهوم الغريب وأسباب التأليف والتصنيف فيه وأنماطه
- مصادر الزجلوي وأسلوبه في الاقتباس
- منهج الزجلوي وطرق تعامله مع اللفظ القرآني وطرق شرحه
- أدوات تفسير الغريب عند الزجلوي

❖ الظواهر اللغوية:

إن كتاب ألفية الغريب عبارة عن منظومة في غريب القرآن،لصاحبه مُحمد بن أمحمد الزجلوي. سار فيه المؤلف على نهج القدامى في التأليف والتصنيف ،مع مخالفته لهم في بعض الجوانب.والكتاب تصنيف في غريب القرآن وهو على هذا بالغ الأهمية والقدر في عصره وبمنطقته.

❖ مفهوم الغريب وأسباب التأليف والتصنيف فيه وأنماطه:

الغريب هو الغامض من الكلام[75]،وهو يبحث في الجانب اللغوي للمفردة[76]،والغُربُ أي كون الكلمة وحشية أي:غير ظاهرة المعنى ولا مؤنسة الاستعمال،والغريب غريبان:غريب حسن،وغريب قبيح؛ فالحسن :هو الذي لا يغيب استعماله عن العرب،لأنه لم يكن وحشيا عندهم،كغريب القرآن والحديث،والقبيح:هو الذي يعاب استعماله مطلقا،ويسمى الوحشي الغليظ،وهو أن يكون مع كونه غريب الاستعمال ثقيلا على السمع كريها على الذوق[77].

1 . التصنيف في غريب القرآن:

إن المصنفين في غريب القرآن كانوا أكثر من أن أحصرهم في هذا البحث، ولا أريد أن أكرر ما قاله غيري في هذا المجال، فهناك أبحاث وكتب ألفت في هذا الصدد، إلا أن ما تجدر الإشارة به هو أن أول من صنّف في هذا المجال هو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في الكتاب المنسوب إليه "كتاب غريب القرآن"،ثم بعد ابن عباس توالت التصانيف في غريب القرآن على أنماط مختلفة.

2 . أنماط التصنيف في غريب القرآن:

75 ــ كتاب العين،الخليل بن احمد الفراهيدي،تح:إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي، د ط ، د ت ،411/4.

76 ــ جهود أبي عبد الله المجاصي في خدمة علوم القرآن مع تحقيق نموذجين من إسهاماته رجز غريب القرآن،وشرح الدرر اللوامع،عبد اللطيف الميموني،(رسالة دكتوراة)،دار الحديث الحسنية للدراسات العليا،الرباط،المملكة المغربية،1424هـ - 1425هـ / 2003م - 2004م،ص:35.

77 ــ ينظر:شرح ألفية الغريب،أحمد بن الطيب،مخطوط بخزانة ابن الوليد با عبد الله ادرار.

إن أنماط التأليف والتصنيف في غريب القرآن حصرها عبد الكريم حسين عبد السعداوي في أربعة أنماط هي:

1 . التأليف في تفسير غريب القرآن بنمط المحاورة أو الخطاب،وهو الذي يرتكز على تفسير الغريب عن طريق طرح مسائل أو أسئلة تتعلق بغريب القرآن،بين سائل ومجيب يوضح دلالة تلك المسألة ويقرب مدلولها،وقد تكون بطريقة غير مباشرة أي؛يقوم المفسر فيطرح على نفسه أسئلة ثم يتولى هو نفسه الإجابة عنها.وأذكر على المثال الأول مسائل نافع بن الأزرق الخارجي ت(65هـ) ،ونجدة بن عويمر ت(68هـ)،أما المثال الثاني فيتمثل في مسائل أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي ت(666هـ).

2 . تفسير الغريب بحسب ترتيب سور المصحف.

3 . تفسير غريب ألفاظ القرآن بحسب الترتيب الألفبائي،وفيه اتجاهان؛الأول مراعاة الحرف الأول وحركته،والاتجاه الثاني مراعاة الحرف الأول والحرف الذي بعده.

4 . التأليف في غريب القرآن بالنظم التعليمي.[78]

وقد حصرها محمد عز الدين المعيار الإدريسي في طريقتين فقط وهما:

1 . ترتيب المادة وفق ترتيب السور.

2 . ترتيب المادة ترتيبا معجميا[79].

وإذا كانت دراسة الإدريسي دراسة عامة وغير مفصلة،وعلى العكس منه فقد كانت دراسة عبد الكريم حسين أكثر منها تفصيلا ،فإنني أفصّل النمط الأخير الذي جاء به عبد الكريم حسين لأستخلص منه أنماطا أخرى.فالناظمون في هذا النمط من الشعر التعليمي، أو النظم التعليمي صنّفوا على ثلاثة أنواع هي:

---

78 ـ ينظر: أنماط التأليف في غريب القرآن ،عبد الكريم حسين عبد السعداوي،كلية القائد ،جامعة الكوفة، العراق،(رسالة ماجستير مخطوط) كل نمط في فصله، 40 ـ 152.

79 ـ ينظر: مقدمة المحقق،نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه،الخزرجي،تح:محمد عز الدين المعيار الإدريسي،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المملكة المغربية،د ط ،1414هـ ـ 1994م،17/1 ـ 19.

1 . النظم بحسب ترتيب سور القرآن الكريم في المصحف الشريف: ونجد هذا النوع هو الشائع بين النظّام ونذكر منهم الديريني في أطول منظومة[80] ،وكذلك العراقي في ألفيته، والمجاصي هو الآخر في منظومته.

2 . النظم بحسب حروف المعجم: وهذا النوع تجده قليلا في النظم التعليمي،وربما يرجع ذلك إلى صعوبة النظم عليه، ولذلك نفر منه النظّام ولم أعثر خلال بحثي إلا على منظومتين في هذا النوع؛ الأولى لأبي الفتح نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر التستري البغدادي[81] (812هـ) سماها "نظم غريب القرآن"،والثانية هي التي نظمها محمد الطاهر التليلي الجزائري[82].

3 . النظم المختلط: وسميته مختلطا لأن الناظم فيه جمع بين النوعين السابقين؛ النظم بحسب ترتيب سور المصحف،والنظم بحسب حروف المعجم،وهذا النوع كذلك لم أجده إلا عند محمد الزجلوي الجزائري ،فإنه أَلَّف في الغريب خارجا عن هذه الأنماط وإن كان خروجه خروجا طفيفا،فإنه حاول الجمع بين النوعين السابقين،وهذا الأمر لم يسبقه فيه أحد على حد علمي.

إن الزجلوي في هذا النمط الجديد من التصنيف في الغريب لم يكتف بالألفاظ الغريبة فحسب، بل أضاف إليها تلك الألفاظ التي تحمل وجوها متعددة مع كونها غريبة وذكرها أصحاب الغريب.

يمكننا أن نتساءل:لماذا اختار الزجلوي هذا النمط من التصنيف؟وماذا كان يريد من نظمه لغريب القرآن على هذا النمط؟

3 . أسباب ودوافع الزجلوي لتأليف كتابه(منظومته):

إن الدوافع التي دفعت المؤلف إلى تأليف هذا الكتاب كثيرة وهي ذات الدوافع التي دفعت سابقيه إلى النظم ،والشروح ،والمختصرات في مختلف الفنون والعلوم ؛فمن تلك الأسباب :

---

80 ــ على حد علمي ومعرفتي في هذا المجال.

81 ــ أصولي ومحدث وناظم ولد ببغداد عام 733هـ درس في بغداد والقاهرة ودمشق توفى 812هـ.(معجم المؤلفين،عمر رضا كحالة،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط:1 ،1414هـ ــ 1993م،26/4.)

82 ــ ولد ببلدة قمار بولاية الوادي سنة 1910م،حفظ القرآن بمسقط رأسه ثم رحل إلى جامع الزيتونة بتونس ،قضى جل حياته في التعليم والتأليف،توفي سنة 2003م.("الجهود اللغوية للشيخ محمد الطاهر التليلي"،أبو القاسم سعد الله،مجلة اللغة العربية،ع:13، 2005م، ص:40 - 43.).

. التيسير وهذا اللفظ العام ينطبق على مختلف الفنون والعلوم التي كان يلجأ العلماء في العصور السابقة إلى نظمها في منظومات أو يختصرونها في مختصرات ،أو يشرحونها ؛من علم النحو والحديث وتفسير القرآن...

. إبراز قدرة المؤلف فمن المعروف أن علماء تلك العصور كانوا يُعرفون بالموسوعية[(83)] ؛فهو من خلال عمله يحاول إبراز قدراته المعرفية والعلمية.

. جمع التراث والقبض عليه بالإيجاز والاختصار والنظم،والخوف عليه من الضياع والاندثار،ثم صبه في قوالب شعرية غنائية،وبالتالي المسك بأطرافه والاستحواذ عليه وعلى أساسياته.

. حاجة المتعلمين إلى حفظ بعض المسائل في النحو و التفسير وغيرهما.

وتلك هي جملة من الأسباب الدافعة إلى النظم والاختصار والشرح.فما هي الأسباب التي دفعت الزجلوي إلى نظم ألفية كاملة في غريب القرآن؟

إن الزجلوي بعد تخرجه من مدرسة "عبد الرحمن بن عمر التينيلاني" تفرغ للتدريس وكان من بين الدروس التي يلقنها لطلابه التفسير إذن من الأسباب الدافعة إلى النظم:

1 . هو التعليم بالدرجة الأولى.

2 . تسهيل فهم ألفاظ القرآن الكريم على طلابه خاصة وطلاب العلم بصفة عامة.

3 . تيسير علم التفسير على طلبة العلم.

4 . جمع عصارة أفكار المفسرين وصبها في قالب شعري منظوم على بحر من البحور الشعرية العربية.

❖ مصادر الزجلوي وأسلوبه في الاقتباس:

لقد تعددت مصادر المؤلف وتنوعت من كتب غريب وتفاسير،فإذا كان مصنفو الغريب إما أن يعتمدوا في تصانيفهم على كتب الغريب أو التفاسير ،فإن الزجلوي جمع بين الطريقتين،وكانت التفاسير

---

83 ــ دور نحاة القرن العاشر الهجري في حفظ التراث النحوي،أحمد محمد عبد الراضي،مكتبة الثقافية الدينية، القاهرة،ط:1 ،1427هـ ــ 2006م،ص:34.

المعتمدة في معظمها تلك التي تناولت غريب القرآن، سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة أم غير مباشرة،وفيما يلي مصادر الزجلوي مرتبة بحسب النوع والأهمية بالنسبة للمنظومة:

1 . **كتب الغريب**:

- **غريب القرآن المسمى (نزهة القلوب)**:

وهو من تصنيف أبي بكر محمد بن عزيز السجستاني وقد رتبه مصنفه على حروف المعجم الألفبائي على حسب حركة أوله ؛حيث جعل الفتح أولا ثم الضم ،ثم الكسر، وقد جاء فيه المصنف بالألفاظ الغريبة على حسب ورودها في القرآن الكريم ؛فهو لم يُرجع اللفظة إلى أصلها بل استعملها كما وردت في القرآن الكريم ؛فما كانت بدايته في القرآن بالألف المفتوحة وضعه في باب الألف المفتوحة،وما كانت بدايته بالألف المضمومة وضعه في باب الألف المضمومة،وما كانت بدايته بالألف المكسورة وضعه في باب الألف المكسورة،وهكذا مع بقية الحروف حتى حرف الياء التي لم يجد لها بداية مكسورة فقال:"قيل:ليس في كلام العرب كلمة أولها ياء مكسورة،إلا في قولهم:يَسار ويِسار لليد."[84]

- **الإتقان في علوم القرآن**:

لصاحبه جلال الدين السيوطي(911هـ) عالم أشهر من أن يُعرَّف به فهو صاحب التصنيفات الكثيرة في مختلف العلوم والفنون فقد فاقت مؤلفاته الثلاثمئة مؤلَّف.

وكتابه هذا "الإتقان في علوم القرآن" الذي قال عنه :"فأردت أن أذكر في هذا التصنيف ما وصل إلى علمي مما احتواه القرآن الشريف،من أنواع علمه المنيف."[85] وهو كتاب يتكون من جزأين جمع فيه صاحبه جميع علوم القرآن الكريم؛فقد ذكر المؤلف في هذا الكتاب ثمانين نوعا من علوم القرآن منها غريبه.

- **منظومة التيسير في علم التفسير للديريني**[86]:

84 ــ غريب القرآن المسمى (نزهة القلوب)،السجستاني،الزهراء،د ط ،د ت،ص:230.
85 ــ الإتقان في علوم القرآن،جلال الدين السيوطي،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط:1،1423هـ ــ 2003م،4/1.
86 ــ ينظر:ترجمته في هذا البحث قسم التحقيق ،ص:102.

هي منظومة تتألف من أكثر من ثلاثة آلاف ومأتي بيت وهي على بحر الرجز المزدوج،مرتبة بحسب سور القرآن الكريم،وتجد الديريني في منظومته هاته يعتني بالتفصيل والشرح الموسع للفظ الغريب،وهو يورد اللفظة الغريبة كما وردت في القرآن الكريم ويأتي لها بأكثر من معنى،فهو يشرح غريب اللفظ مستعينا بمن سبقه من المفسرين واللغويين[87]،ويبدأ منظومته بقوله:

يا رب أنت المستعان الكافي	الواحد الفرد الرحيم الشافي
الخالق المصور القدير	العالم الميسر الخبير

- **منظومة المجاصي[88] في غريب القرآن:**

هي أرجوزة تتكون من 712 بيتا مرتبة بحسب سور القرآن الكريم،وهي من الرجز المزدوج، لم يعرض الناظم فيها لمصادره التي استقى منها معلوماته، كما أنه لم يبين منهجه فيها،ويبدأها بقوله:

الحمد لله الحميد الأعلى	ذي المن والفضل الكريم المولا
رب السموات ورب الأرض	وباعث الناس ليوم العرض
جل عن التجسيم والتصوير	ما له في الملك من نظير

ومن خلال الاطلاع على المنظومة يبدو أن منهجه كان يسير على نهج القدامى أمثال ابن قتيبة معتمدا على الكتاب والسنة والمأثور؛مثل عبد الله بن عباس، وعبد الله بن جابر،والضحاك والكلبي...

2 . **التفاسير**:

- **تفسير الجلالين:**

هو تفسير للقرآن الكريم وضعه مؤلفان هما جلال الدين المحلى[89](864هـ) ، وتلميذه جلال الدين السيوطي(911هـ) ولذلك سمي بـ:"تفسير الجلالين"فالكتاب مناصفة بينهما ؛ فالمحلي كان له من أول

87 ــ أنماط التأليف في غريب القرآن،ص:145.

88 ــ ينظر:ترجمته في هذا البحث قسم التحقيق،ص:102.

89 ــ هو جلال الدين محمد بن احمد المحلي الشافعي ولد بمصر سنة 791هـ وتوفي سنة 864هـ كان عالما ورعا عاملا زاهدا برع في فنون كثيرة منها التفسير والنحو ... (طبقات المفسرين،محمد بن أحمد الأدنه

سورة الكهف حتى آخر القرآن الكريم مع تفسير سورة الفاتحة ، وبعد وفاته بست سنين أكمله تلميذه السيوطي على نفس المنهج والأسلوب.

- **معالم التنزيل في التفسير والتأويل:**

هو كتاب في تفسير القرآن الكريم ألفه البغوي[90]،وأثنى على الكتاب كثير من العلماء أوكلهم وهذا في عصره وبعده ،وعَدُّوا البغوي عالم خرسان ؛فقد كان بحرا متفوقا في التفسير والحديث والفقه[91]،ويعد كتابه الذي يتكون من خمسة أجزاء تفسيرا وسطا؛فلا هو بالطويل الممل ،ولا بالقصير المخل،قال البغوي:"فجمعتُ بعون الله تعالى وحسن توفيقه فيما سألوا كتابا متوسطا بين الطويل الممل والقصير المخل."[92]فقد تعددت مصادر المؤلف في تفسيره؛ فكان يفسر القرآن بالقرآن،وبالحديث ،وبالأقوال المأثورة ،واعتنى في تفسيره باللغة ،والجوانب النحوية، والقراءات[93].

- **الجواهر الحسان في تفسير القرآن:**

هو لصاحبه عبد الرحمن الثعالبي[94]اعتمد الثعالبي في تفسيره على من سبقه في هذا العلم،فمن التفاسير التي اعتمدها نجد المحرر الوجيز لابن عطية ؛فالجواهر الحسان يكاد يكون مختصِرا أو موجِزا لهذا التفسير،ومنها كذلك تفسير الطبري ،والبحر المحيط لأبي حيان،ومفاتيح الغيب للرازي،أحكام القرآن للقاضي أبي بكر بن العربي،ويعد تفسير الثعالبي مرجعا مهما للتفسير الفقهي عند المالكية ،لأنه يمثل روح

ويه،تح:سليمان بن صالح الخزي،مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،ط:1،1417هـ ـ 1997م،ص:336.)

90 ـ وهو أبو محمد الحسين بن مسعود،بن محمد،الفراء،البغوي نسبة إلى مدينة (بغ)لقب بمحي السنة ،وركن الدين،كان إماما في التفسير والحديث والفقه،جليلا ورعا زاهدا،عاملا على طريقة السلف.(ينظر:طبقات الشافعية،ابن شهبة الدمشقي،تح:الحافظ عبد العليم خان،عالم الكتب،بيروت،لبنان،ط:1، 1407هـ ـ 1987م،281/1،ومعالم التنزيل في التفسير والتأويل،البغوي،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط:1، 1422هـ - 2002م،(مقدمة الناشر)،3/1.).

91 ـ البغوي ومنهجه في التفسير،عفاف عبد الغفور حميد،رسالة ماجستير (مخطوط) جامعة الملك عبد العزيز،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، قسم الدراسات العليا الشرعية،1400هـ ـ 1980م،ص:145.

92 ـ معالم التنزيل،5/1.

93 ـ ينظر:البغوي ومنهجه في التفسير،ص:60 ـ 114.

94 ـ هو عبد الرحمن محمد بن مخلوف،يكنى أبا زيد ويلقب بـ:"الثعالبي" الجزائري المالكي،كان عالما مصنفا توفي سنة 876هـ. (طبقات المفسرين،محمد بن أحمد الأدنه ويه،تح:سليمان بن صالح الخزي،مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،ط:1،1417هـ ـ 1997م ص:342).

التعصب للمذهب المالكي ،والدفاع عنه ظهر جليا من خلال الآراء ؛إلا أنه لم يكن ذلك التعصب الأعمى الذي يُغفل زلات السابقين[95]،كما اعتمد على كتب الغريب في القرآن والحديث،وكتب الحديث،وغيرها من المصادر؛فكان منهجه في التفسير معتمدا على القرآن والسنة والمأثور ...

- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**:

هو كتاب في التفسير لصاحبه ابن عطية[96]، وقد سلك فيه مسلك المفسرين فجاء كتابه جامعا بين المأثور والمعقول[97]،وكانت مصادر ابن عطية في تفسيره متعددة بين التفاسير وكتب الحديث، فمن التفاسير نجد جامع البيان للطبري،وشفاء الصدور للنقاش،والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار أبي محمد القيسي.

كما اعتمد على كتب القراءات منها كتاب المحتسب لابن جني وغيره،واعتمد كتب اللغة منها معاني القرآن للفراء،ومجاز القرآن لأبي عبيدة ،وكتاب سيبويه ،والمقتضب للمبرد ،وكتاب العين للخليل،والمخصص لابن سيده وغيرها،كما أنه اعتمد مصادر فقهية،وبشكل خاص في المذهب المالكي[98].كما يعد كتاب المحرر الوجيز ديوانا جامعا للقراءات بأنواعها[99].

3 . **مصادره اللغوية**:

- **القاموس المحيط**:

---

95 ـ ينظر:الجواهر الحسان، الثعالبي ،تح:علي محمد معوض ،وعادل عبد الموجود،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،لبنان،ط:1ن 1418هـ - 1997م،(مقدمة المحقق)،94/1.

96 ـ هو القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب عبد الرءوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية المحاربي الداخل ولد سنة 480هـ طلب العلم في سن مبكرة كان متوقد الذكاء توفي سنة 541 أو546هـ،كان فقيها عالما بالتفسير ،والأحكام والحديث والنحو واللغة والأدب،ولي القضاء بمدينة المرية. (الديباج المذهب،في معرفة أعيان علماء المذهب،ابن فرحون،تح:مأمون بن محي الدين الجنّان دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط:1 ،1417هـ ـ 1996م،ص:275 و276، وينظر ترجمته في:معجم المفسرين،257/1،بغية الوعاة،73/2 و74.)

97 ـ المحرر الوجيز، ابن عطية،تح:عبد السلام عبد الشافي،دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان ،طك01 ،1422هـ - 2001م،(مقدمة المحقق)،19/1.

98 ـ ينظر: المحرر الوجيز ،مقدمة المحقق،20/1 ـ 25.

99 ـ ينظر:منهج الإمام ابن عطية الأندلسي في عرض القراءات وأثر ذلك في تفسيره(رسالة دكتوراه غير مطبوعة)،فيصل بن جميل بن حسن غزاوي، جامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية،كلية الدعوة وأصول الدين،قسم الكتاب والسنة،1423هـ ،ص:736.

هو معجم لغوي مشهور لصاحبه الفيروز أبادي صنفه ورتبه على نظام التقفية(أواخر الأصول)،وبلغ الكتاب شهرة كبيرة،واشتمل القاموس المحيط على ثمانية وعشرين بابا بعدد حروف الهجاء ،وأبرز ما يمتاز به القاموس المحيط كثافة مادّته، وإيجاز عبارته التي تصل أحياناً إلى حدّ الغموض أو اللّبس، مع حرصٍ على الشمول والاستيعاب، واعتماد رموز واصطلاحاتٍ خاصة رغبةً في الاختصار، ودفعاً للتكرار[100].

وللقاموس المحيط خصائص تمييزه عن بقية المعاجم أهمها:

1 . أنه يضبط الكلمات بألفاظ شائعة معروفة.

2 . ولا يكتفي في ذلك بالشكل والحركات.

3 . يعنى بضبط أعلام الأشخاص والأمكنة في نهاية كل مادة غالباً.

4 . يهتم بإيراد المولّد والأعجمي من الألفاظ وبيان أصله.

وقد اعتمد الفيروز آبادي في تصنيفه على كتابين كما صرح بذلك بنفسه وهما: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده،و"العباب"للصغاني[101].ولا يخفي الفيروز آبادي تحامله على الجوهري في مقدمة كتابه وتجده يتعقّب الجوهري في كل موضعٍ، ويغتنم كل سانحة، فيغلّطه تارةً؛ ويوهّمه تارة أخرى.وقال :" ولما رأيت إقبال الناس على صحاح الجوهري . وهو جديرٌ بذلك . غير أنه فاته نصف اللغة أو أكثر؛ إما بإهمال المادة، أو بترك المعاني الغريبة النادّة أردت أن يظهر للناظر باديَ بدءٍ فضلُ كتابي هذا عليه، فكتبت بالحمرة المادة المهملة لديه، وفي سائر التراكيب تتّضح المزيّة بالتوجّه إليه"[102].

إن المصادر التي استقى منها الزجلوي معلوماته متنوعة بين الغريب والتفاسير وهذا الأمر يتطلب مقدرة وبراعة ليس في الاختيار والانتقاء فحسب،بل حتى في طريقة تقديمها للقارئ ؛فالمطلع على الألفية لا يشعر وهو يقرأها أن الناظم قد جمع كل تلك الكتب واختار منها ما يناسب ويتناسب مع طلاب العلم والتفسير،وبهذا يكون القارئ قد طالع كثيرا من كتب الغريب والتفاسير مجموعةً في ألف بيت.

---

100 ـ "بين الصحاح والقاموس المحيط"،محمود فاخوري،مجلة التراث العربي،اتحاد كتاب العرب ،العدد:77،السنة: 19، أكتوبر 1999م ـ جمادى الأخيرة ـ رجب 1420هـ.

101 ـ ينظر:مقدمة القاموس المحيط، الفيروزآبادي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، د ط ، د ت.3/1.

102 ـ مقدمة القاموس المحيط،3/1.

4 . مصادر الزجلوي الحديثية:

لم تكن مصادره في الحديث كثيرة كما هو الحال في التفاسير وكتب الغريب؛ فقد جاء العمل بالحديث على قسمين: حيث أراد أن يبرز أهمية الإعراب (البيان)؛ فجاء بأحاديث مرفوعة وردت في كتاب البيهقي "الجامع لشعب الإيمان"، أما الأحاديث التي كان يعتمدها في التفسير والشرح فهي من الصحاح مثل الترميذي وأبي داود ...

❖ أسلوب الزجلوي في الأخذ والاقتباس:

إن محمد الزجلوي وبحكم طبيعة النمط الذي صنف عليه غريبه لم يكن له المجال واسعا حتى يكتب كل ما أراد كتابته؛ فهو في الاقتباس والأخذ اعتمد عدة طرق منها:

1 . النقل الكلي(النسخ):

كان الزجلوي في كثير من الأحيان يأخذ كلام غيره دون زيادة أو نقصان وتمثل ذلك في بعض المعاني؛ فهو مثلا تراه يأخذ بيتا كاملا أو شطرا من منظومة التيسير كما في البيت 430 :

لِيُثْبِتُوكَ:أَيْ لِيَحْبِسُوكَ، يُوَاطِئُوا:يُوَافِقُوا سُلُوكَ

فقد أخذ صدره من منظومة التيسير للديريني[103].

أو من منظومة المحاصي،كما في البيت 158 :

خَوَّلَهُ: مَلَّكَهُ وَأَغْنَى، إِلَّا خَبَالاً: أَيْ فَسَادًا عَنَّى

فقد أخذ صدره من منظومة المحاصي[104].

أو من منظومة ابن بري،كما في البيت 235:

وَإِنَّمَا النَّسِيءُ وَرْشٌ أَبْدَلَهْ: تَأْخِيرُ حُرْمَةِ الشُّهُورِ الجَهَلَهْ

فصدر هذا البيت مأخوذ من منظومة الدرر اللوامع لابن بري[105].

103 ــ ينظر:هذا البحث قسم التحقيق،ص:175.
104 ــ ينظر:هذا البحث قسم التحقيق،ص:125.

وهذا ما يعرف بالتضمين ويحدث كثيرا بين النظّام ، وفي حين آخر تراه يأخذ كلام السجستاني أو الجلالين أو البغوي أو غيرهم من المفسرين كما هو، وهذا حينما يتعلق الأمر بلفظة شارحة للفظة قرآنية.

2 . الأخذ بالمعنى:

وهو في بعض المواضع بعد أن يطّلع على تفسير غيره يأخذ معناه ثم يقوم بإعادة صياغته بحسب الوزن الذي يريده، كما هو الشأن في البيت 241 مع لفظة (نقموا) فقد شرحها بقوله:عابوا بإنكار،وقال في شرحها السجستاني:"كرهوا غاية الكراهة"،وقال ابن جزي:"ما عابوا إلا الغني الذي كان حقه أن يشكروا عليه."[106]

3 . أخذ كلمة أو مجموع كلمات:

في هذه الحالة تجد الزجلوي يأخذ بعض الكلمات من الغير، ويضيف إليها ما يتناسب مع الوزن،وهذا ليس كالأخذ بالمعنى أو التلخيص.كما هو الشأن في البيت 509:

يَدْمَغُهُ:يَكْسِرُهُ فِي النَّقْلِ، إِصَابَةُ الدِّمَاغِ قُلْ فِي الأَصْلِ

فالسجستاني يقول:" يدمغه:يكسره،وأصله أن يصيب الدماغ بالضرب ،وهو مقتل."[107]

4 . الأخذ بطرف من طرفي الكلام:

وهنا تجده يأخذ بأحد طرفي كلام الغير؛إما بالبداية أو بالنهاية،كما هو الشأن في البيت 272 عند تعرضه لشرح لفظة (عيلة) فقال:فقرا وضيق حال،وقال البغوي في شرحها:فقرا وفاقة...،فقد أخذ الزجلوي ببداية كلام البغوي.[108]

---

105 ــ ينظر:هذا البحث قسم التحقيق،ص:139.
106 ــ ينظر:هذا البحث قسم التحقيق،ص:140.
107 ــ ينظر:هذا البحث قسم التحقيق،ص:193.
108 ــ ينظر:هذا البحث قسم التحقيق،ص:147.

5 . **النظم**:

وفي هذه الحالة فهو ينظم كلام غيره في غير القرآن الكريم، بعد أن كان نثرا وبشكل خاص حدث مع السيوطي في الإتقان ،والسجستاني والطبري،كما في صدر البيت (442) حيث قال:

ثُمَّ الحَنِيذُ المنْضَجُ المشْوِيُّ.

فقد نظم الناظم كلام الطبري:"الحنيذ:المشوي النضيج."[109]

وكما في البيت (721) حيث ينظم كلام السيوطي:

وَكُلُّ إِنْفَاقٍ فَفِيْهِ الصَّدَقَهْ، وَالمهْرُ فِيْمَا أَنْفَقُوا، وَالنَّفَقَهْ

وقال السيوطي:"وكل إنفاق فهو صدقة إلا :[فَآتُوا الذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا][الممتحنة 11.] فالمراد به المهر. "[110]

6 . **التلخيص**:

تجد الزجلوي في بعض الأحيان يلخص كلام غيره لطوله،كما كان الشأن مع كلام المحاصي ؛فهو يلخصه من تسعة أبيات إلى أربعة، وأبيات المحاصي جاءت كالتالي:

والحين قالوا سبع الأعوام في هذه السورة بالإعلام

وقيل عشر بعدها اثنان من السنين فزت بالرضوان

والحين وقت ليس بالمحدود وقد أتى التحديد في ثمود

ثلاثة الأيام قد تمتعوا وبعدها صيح بهم لم يرجعوا

والحين عام وطعام النخل وقيل نصف العام فاحفظ قولي

والحين من صبح إلى الأصيل كذا رووا عن صاحب التأويل

109 ـ ينظر:هذا البحث قسم التحقيق،ص:178.

110 ـ ينظر:هذا البحث قسم التحقيق،ص:240.

والحين أيضا مرة الآجال في قوم يونس ذووا الأفضال

والحين أربعون عاما قد أتت على أبينا قبل روح قد خلت

ومن رمي الأنسال جمع نسل فتسعة الشهور حين الحمل[111]

ولخصها الزجلوي في هذه الأبيات الأربعة:

حَيْنٌ: زَمَانٌ لَيْسَ بِالمحْدُودِ، وَأَجَلُ التَّلَوُّمِ المعْـهُودِ

وَكُلُّ حِيْنٍ: فِي طَعَامِ النَّـخْلِ عَامٌ وَنِصْفُهُ، أَتَى فِي النَّـقْلِ

وَالحِيْنُ: أَيْضًا مُدَّةُ الآجَالِ، وَالمسْيُ، وَالإِصْبَاحُ، وَالآصَـالِ

وَأَرْبَعُونَ سَنَةً فِي الـدَّهْرِ، أَوْ مُدَّةُ الجَنِيْنِ فِـيْهِ ادْرِي[112]

وهذا العمل من الزجلوي كان جميلا أبرز من خلاله مقدرته على جمع كل تلك المعاني في أربعة أبيات بدلا من تسعة.

إن هذه الأساليب التي اعتمدها الزجلوي في الاقتباس والأخذ لم تكن جديدة على النظّام فهي أساليب شائعة بين أهل هذه الصنعة،لكن يكون ذلك بدرجات متفاوتة بينهم فالزجلوي مثلا أبرز من خلال عمله هذا قدرة وبراعة فائقتين في حسن الأخذ والاقتباس،ودمج المأخوذ والمقتبس في نظمه وكلامه دون أن يشعر القارئ بذلك.

❖ منهج الزجلوي وطرق تعامله مع اللفظ القرآني وطرق شرحه:

1 . منهج الزجلوي في الكتاب:

111 ـ هذه الأبيات من منظومة المجاصي في غريب القرآن ،ص:9.

112 ـ ينظر:هذا البحث قسم التحقيق،ص:255.

لقد اعتمد الزجلوي في تفسيره لألفاظ الغريب طرقا عدة وقد كفانا عناء البحث عن منهجه فقد صرّح بذلك في بداية المنظومة ؛فقد ذكّر في البداية بأهمية علم التفسير وبشكل خاص إيضاح الغريب منه فجاء بأحاديث يستدل بها على كلامه ويوضح بها ما يذهب إليه،ثم ذكر الأقسام التي قسّم إليها منظومته. ونصل إلى توضيح المنهج المتبع في تقسيم المنظومة ؛إن المنظومة مقسمة إلى ثلاثة أقسام، ففي قسمها الأول صنّف الناظم الغريب بحسب الترتيب الألفبائي المغربي، ولكن على طريقة تختلف عن سابقيه في هذا التصنيف، وفي هذا النمط أيضا؛ حيث ذكر الألفاظ الغريبة المكررة أي تلك التي تكررت بصيغة واحدة أو بصيغ مختلفة وكانت ذات دلالة واحدة،وذكر حتى التي اختلفت دلالتها عن بقية اللفظ المكرر،كما هو الشأن في البيت 73 قال:

أَنْكَالاً أَغْلالاً وَأَصْفَاداً :قيُودْ إلا في الأَعْرَافِ فَتَكْلِيفٌ يَؤُودْ

فلفظة (أغلالا) تكررت في سور كثير وكانت لها دلالة واحدة،إلا أنها في سورة الأعراف كانت لها دلالة أخرى. [113]

وفي قسمها الثاني المرتب بحسب سور المصحف الشريف؛ فإن الناظم ذكر الألفاظ الغريبة التي وردت مرة واحدة أو في موضع واحد في القرآن كله،أو تكررت بدلالة أخرى،دون أن يعيد لفظة واحدة من الألفاظ التي ذكرها في القسم الأول.

وفي القسم الثالث الذي خصصه للألفاظ الغريبة التي احتملت وجوها كثيرة ،وكذلك الأضداد، وكذلك النظائر وهي الألفاظ التي اشتركت في الصورة اللفظية ترتيبا وشكلا وحملت دلالات مختلفة.

هذا هو المنهج الذي سار عليه مُحمد الزجلوي في تأليفه وتصنيفه في غريب القرآن،فهو من جهة يساير القدامى كما يخرج عنهم في بعض الأمور،وقد صرّح بذلك في مقدمته[114].

2 . طرق الزجلوي في التعامل مع اللفظ القرآني:

113 ــ ينظر:هذا البحث قسم التحقيق،ص:110.

114 ــ ينظر:هذا البحث في قسم التحقيق،ص:101 الأبيات : 10 ــ 13.

ذهب الزجلوي في تعامله مع اللفظة القرآنية مذهب السجستاني في غريبه، فقد أتى باللفظة القرآنية كما وردت في القرآن الكريم إلا أنه يلجأ إلى بعض التغييرات، وفيما يلي أطرق منهجه في التعامل مع اللفظة القرآنية ،وفي طريقته لشرحها:

لقد تعامل محمد الزجلوي مع اللفظة القرآنية بطرائق مختلفة، أذكرها فيما يأتي:

- **طريقة الحكاية:**

بمعنى أن الزجلوي في هذه الطريقة لم يغير اللفظ القرآني بل جاء به كما هو في سورته محاكيا المولى عز وجل مفرداتٍ وجملا، وكان ذلك في مواضع كثيرة من المنظومة،فمن المفردات قوله في البيت 287:

وَفَاكِهِينَ: مُتَنَعِّمِـينَ، وَفَتْرَةٍ: لِلانْقِطَاعِ حِـيْنَا

فلفظة (فاكهين)وردت في قوله تعالى:[وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيْهَا فَاكِهِينَ](سورة الدخان الآية27)،وغيرها كثير في المنظومة.

ومن الجمل قوله في البيت 250:

وَالنَّشْأَةُ: الخِلْقَةُ، أَنْشَأَ: ابْتَدَا، يَنْشَأُ فِي الحِلْيَة: يَنْمُو بِاهْتِدَا

حكى الناظم المولى عز وجل في قوله:[أَوَمَنْ يَنْشَأُ فِي الحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ](سورة الزخرف الآية 18.)،فأخذ الجملة (ينشأ في الحلية) كما هي في السورة القرآنية.

- **استعمال المصدر:**

إنه يأتي بمصدر اللفظة القرآنية بدلا منها كما في البيت 41:

إِنْذَارٌ:إِعْلَامٌ مَعَ التَّخْوِيفِ، وَالمُوْجِعُ؛ الأَلِيمُ فِي التَّعْرِيفِ

إن الناظم في هذا البيت جاء بلفظة (الإنذار) على صيغة المصدر، وهي لم ترد في القرآن على هذه الصيغة، بينما جاءت بصيغة الماضي (أنذرناهم)وبصيغة المضارع (ينذرونهم)وبصيغة الأمر(أنذر)...وقد أورد الناظم كل تلك الصيغ على صيغة المصدر لأنه هو أصل كل اشتقاق على حد تعبير نحاة البصرة.

- **استعمال الفعل**:

يستعمل الفعل بدلا من اللفظ القرآني،كما في البيت 62:

وَرَصَدَ:ارْتَقَبَ كَالإِرْصَادِ،	وَقُلْ: بِعِلْمِهِ؛لَبِالمِرْصَادِ

استعمل الناظم لفظ (رَصَدَ) على صيغة الفعل بدلا من الصيغة التي وردت عليها في القرآن الكريم،فقد وردت في سورة التوبة مرتين في الآية الخامسة(مَرْصَدٍ)،وفي الآية السابعة بعد المائة (إِرْصَادًا)،وفي سورة الجن في الآيتين التاسعة،والسابعة والعشرين (رَصَدًا)،وفي سورة النبأ في الآية الحادية والعشرين (مِرْصَادًا).

- **استعمال المفرد**:

يستعمل المفرد بدلا من اللفظة القرآنية وهو بهذا بدلا من أن يورد اللفظة بصيغة الجمع كما جاءت في القرآن الكريم يبدلها بصيغة المفرد كما في البيت 154:

حَدَائِقٌ: بَسَاتِنٌ مُحَجَّرَهْ،	وَمُنْتَهَى الحُلْقُومِ يُدْعَى؛ الحَنْجَرَهْ

فلفظة (الحنجرة) لم ترد في القرآن الكريم،بل جاء فيه (الحناجر)في قوله تعالى في سورة الأحزاب الآية العاشرة ،وفي سورة غافر الآية الثامنة عشر،ولكن الناظم أبدلها بصيغة المفرد لإقامة الوزن.

إن الزجلوي قام بهذا العمل أي إبدال الصيغة القرآنية بصيغة أخرى من جهة لإقامة الوزن بالدرجة الأولى ،ومن جهة أخرى قلّد فيها أصحابَ المعاجم ومصنفي الغريب.

3 . **طرق شرحه للفظ القرآني**:

إن الزجلوي اعتمد في شرحه لألفاظ الغريب وحل عويصه على المفسرين (أهل الغريب،وأهل التفسير والتأويل)،واللغويين ،وقد ذكر ذلك في بداية المنظومة بداية من البيت 13 قائلا:

وَرُبَّمَا خَالَفْتُ فِي التِزَامِ	لِنُكَتٍ تَلِيقُ بِالمِقَامِ
مِنْ جُلِّ مَا أَوْرَدَهُ العُزَيْزِ،	وَذُو الجَلاَلَيْنِ بِلاَ تَمْيِيزِ

وَفِيْهِ مِنْ غَرَائِبِ الإِتْقَانِ، وَغَيْرِهِ مِنْ كُتُبٍ حِسَانٍ

وَرُبَّمَا اسْتَعَنْتُ بِالمِحَاصِي بِسَبْقِهِ لِفَضْلِ الاقْتِنَاصِ

أَوْ بِغَرِيبِ العَالِمِ النِحْرِيرِ؛ عَبْدِ العَزِيزِ الوَاسِعِ التَفْسِيرِ[115]

يذكر الزجلوي الذين اعتمد عليهم في هذه المنظومة وأخذ عنهم ،وقد سبق لنا ذكرهم في مصادره،ومن هنا ندرك مدى شعور الناظم بعظم مسئولية العمل الذي يقدم عليه.

- **شرح غريب القرآن بالقرآن**:

فتراه يشرح اللفظة الغريبة بالقرآن نفسِه، مثل قوله في البيت 269:

وَعُقُبًا، عُقْبَى بِمَعْنَى: العَاقِبَهْ، مُعَقِّبَاتٌ: الحِفْظِ فِي المِعَاقَبَهْ

فقد شرح لفظتي (عُقُبا) و(عُقْبَى) القرآنيتين ،ب(العاقبة) التي هي الأخرى لفظة قرآنية.

وكذلك في قوله في البيت 300 :

قَلَى: مِنَ القِلَى بِمَعْنَى البُغْضِ، قَيَّضَ، قَدَّرَ: وَسَاقَ يَقْضِي

فهو يشرح لفظة (قَيَّضَ) ب (قَدَّرَ) واللفظتان قرآنيتان،وقد اعتمد في هذا على الفيروز آبادي في القاموس المحيط.[116]

- **الجمع بين الألفاظ القرآنية الغريبة ذات الدلالة الواحدة**:

يجمع بين الألفاظ القرآنية الغريبة ذات الدلالة الواحدة،وقد يأتي حتى باللفظ غير الغريب،كما هو الشأن في البيت 149 قال:

أَحَاطَ، حَاقَ: فِي نُزُولِ الدَّاءِ، خَالَفَ؛ حَادَّ بِادِّغَامٍ جَاءِ

لقد جمع الناظم في هذا الشطر بين لفظة غير غريبة(أَحَاطَ)،ولفظة غريبة (حَاقَ) لأنهما مترادفتان وتحملان نفس الدلالة[117].

115 ـ ينظر:هذا البحث قسم التحقيق،ص:102.
116 ـ ينظر:هذا البحث قسم التحقيق،ص:152.

وأمّا الألفاظ الغريبة في قوله في البيت 495:

إِدّاً،فَرِيًا:وَاحِدٌ فِي المعْنَى؛ وَهْوَ عَظِيمُ القُبْحِ فِيْمَا يُعْنَى

فالناظم جمع بين لفظتين قرآنيتين تحملان دلالة واحدة، واللفظتان هنا من سورة واحدة (إِدًّا)، و(فَرِيًّا)[118].

- **شرح غريب القرآن بالحديث النبوي الشريف**:

وهو أيضا يشرح الألفاظ الغريبة بالاستعانة بالحديث النبوي الشريف مثل قوله في البيتين 531 و532 :

وَاللَّفْحُ:إِحْرَاقٌ بِوَهْجِ الجَمْرِ وَالكَالِحُ:العَابِسُ عِنْدَ البَحْرِ

وَفِي الحَدِيثِ ذَاكَ تَشْمِيْرُ الشِّفَاهْ لِوَسَطِ الرَّأْسِ وَسُرَّةٍ مَدَاهْ

الناظم شرح لفظ (الكالح) بالحديث النبوي الشريف؛فالبيت الثاني هو الحديث النبوي الذي أخرجه الترميذي: قال:[وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ]،قال:تشويه النار فتقلّص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته."[119]

- **شرح الغريب بالمأثور**:

ويشرح الغريب بالمأثور استنادا إلى كتب التفاسير ومن الذين أخذ بأقوالهم وذكرهم في منظومته نجد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما،وقتادة بن دعامة وهو تابعي.أما الذين لم يذكر أسماءهم نجد الكلبي ،والضحاك وغيرهما.وحينما يتعلق الأمر بالمأثور فإن الزجلوي يقوم باختيار القول المناسب والذي يريده من بين الأقوال المأثورة عن الصحابة أو عن التابعين،كما في قوله في البيت 574:

غَوْلٌ:صُدَاعُ الرَّأْسِ عَنْ قَتَادَهْ، أَوْ وَجَعٌ فِي البَطْنِ عِنْدَ القَادَهْ

---

117 ـ ينظر:هذا البحث قسم التحقيق،ص:124.

118 ـ ينظر:هذا البحث قسم التحقيق،ص:190.

119 ـ ينظر:هذا البحث قسم التحقيق،ص:199.

في هذا البيت يشرح لفظة (غَوْل) الغريبة بما أُثر من أقوال الصحابة والتابعين فيختار من بين الأقوال ما يناسب المعنى الذي أراده.[120]

- **شرح الغريب بأقوال أهل الغريب والمفسرين:**

ويشرح الغريب أيضا اعتمادا على ما جاء به أصحاب الغريب أو أصحاب التفاسير،كما جاء في تفسير لفظة (أسباط) فإن الزجلوي في البيت 43 قد فسرها بما ذكره السجستاني[121].

وفسّر لفظة (حنيذ) في البيت 442 بقوله:

ثُمَّ الحَنِيذُ:المَنْضَجُ المَشْوِيُّ، وَالاحْتِقَارُ؛الازْدِرَا مَرْوِيُّ

وهذا ما ذكره الطبري؛ وهو من أصحاب التأويل والتفسير[122].

وتراه في بعض الأحيان يقع في مواقف بين أهل الغريب والتفاسير، فإن الزجلوي في هذه الحالة وأشباهِها يشرح اللفظة بما شرحها به أهل الغريب،كما هو الشأن البيت 57 مع لفظة "أخدان" فقد قال:

آنَاءَ: سَاعةٍ مِن الزَّمانِ، وأَصْدِقَاءُ السرِّ؛ في الأَخدَانِ

فقد فسرها البغوي على سبيل المثال بقوله:"أي: أحباب، تزنون بهن في السر."،بينما فسرها القيسي والسجستاني بقولهما:"أصدقاء"،وعلى هذا فالناظم اختار القول الثاني أي قول أصحاب الغريب وأضاف إليه السر حتى تكون أكثر دقة وصواب.

- **شرح الغريب باللغة:**

120 ـ ينظر:هذا البحث قسم التحقيق،ص:208.
121 ـ ينظر:هذا البحث قسم التحقيق،ص:105.
122 ـ ينظر:هذا البحث قسم التحقيق،ص:178.

اعتمد الزجلوي على كتب اللغة فهو لم يهمل المعنى اللغوي للفظة القرآنية،كما هو الشأن في البيت 474 حيث قال:

وَالنِّكْثُ:مَا يُفْسَخُ بَعْدَ البَرْمِ   وَالنَّكْثُ نَقْضُ العَهْدِ بَعْدَ العَزْمِ

هنا يعرض للمعنى اللغوي للفظة(نكث)،كما يتعرض فيها للمعنى المراد في النص القرآني،وفي هذه الحالات اعتمد على القاموس المحيط،فهو كثير ما يقتبس منه.[123]

❖ أدوات تفسير الغريب عند الزجلوي:

بعد أن عرفنا المنهج الذي اتبعه الزجلوي في تفسيره للغريب،وكذلك النمط الذي ألف وصنف عليه الغريب،بقي لنا أن نعرف الأدوات التي استخدمها في التفسير،ونحاول في هذه السطور أن نبين تلك الأدوات:

اهتم الزجلوي بتفسير الغريب مستعملا أدوات استعملها اللغويون في معاجمهم اللغوية، ويمكننا أن نقف في تفسير الزجلوي للغريب على ثلاثة جوانب:

أولا:الجانب اللغوي للمفردة الغريبة،وحتى بعض العبارات وإن كانت قليلة،حيث نجد أن الزجلوي قد أولى اهتماما كبيرا للجانب اللغوي لبعض الألفاظ وبشكل خاص تلك الألفاظ المتشابهة.

ثانيا:الجانب الصوتي والصرفي ونظرا لما لهما من وظائف للتفريق بين دلالات الألفاظ فإن الزجلوي لم يغفل عن توظيفهما لإبراز دلالة الألفاظ.

ثالثا:الجانب الشرعي حيث أن الزجلوي حاول أن يفسر الغريب دون الخروج عن السابقين له في هذا المجال؛ لهذا فإنه باعتماده على أهل الغريب، والتأويل والتفسير لم يكن أمامه إلا اتباعهم في أقوالهم وتفسيراتهم لتلك الألفاظ.

وفيما يلي نبرز الأدوات اللغوية التي استعملها الزجلوي في التفسير:

123 ـ ينظر:هذا البحث قسم التحقيق،ص:185.

1 . التفسير بالمرادف:

وتعد هذه الأداة أبرز الأدوات التي يستعملها أصحاب المعاجم في شرح وتفسير المفردات اللغوية، والمقصود به أن الناظم استعمل في تفسيره للغريب الكلمات المرادفة للفظة المراد شرحها مثل:

اللفظة	مرادفها
إنذار	إعلام
حظ	كفل ،خلاق
حاق	أحاط
الرفث	الجماع
لا انفصام	لا انقطاع
إلحافا	إلحاحا
الراسخ	الثابت
المذبذب	المتردد
نقيبا	كفيلا
بِدْعا	أولا

واعتماد الزجلوي على الشرح بالمرادف يعد ردا منه على منكري وجود الترادف في اللغة، وحتى في القرآن الكريم؛ حيث رأيناه يأتي بالألفاظ المترادفة في القرآن الكريم.

2 . التفسير بالضد:

وهذه الأداة تعد من الأدوات التي يلجأ إليها المعجميون في توضيح الدلالة اللفظية للمفردة اللغوية الغامضة ،وتستعمل إذا اعتقد المعجمي أنها كافيةٌ لشرح المفردة،إلا أن الزجلوي لم يول هذه الأداة كبير أهمية،ولم نعثر عليها إلا في حالات نادرة،وهي في كثير من الأحيان ألفاظ قرآنية (اللفظة ونقيضها) كما سيوضح الجدول الآتي ذلك:

اللفظة	ضدها
الكوب	الإبريق

الزفير	الشهيق
الميمنة	المشأمة
البقل	القثاء
الذِّلة	الذل نقيض العز.
العرض	ضد طول

3 . **التفسير بالمِثل أو المقارب**:

تستعمل هذه الأداة لتقريب المعنى في حالة غموضه،ويعتقد المعجمي أنه بهذه الأداة يقرب الصورة والمفهوم إلى الأذهان أكثر مما تقربه المرادفة والنقيض،فهو يشبهها أو يمثلها بالمحسوس المدرَك،أو بالشيء المتعارف عليه بين الناس ،ومن وسائل هذه الأداة: (مثل،الكاف،النظير،بمنزلة...) ،وقد استعمل الزجلوي هذه الأداة لذات الأغراض التي ذكرتها،وفيما يلي جدول يبين بعض التفسيرات التي استعملت فيها هذه الأداة:

اللفظة	مثلها أو مقاربها
أسباط	مثل قبائل بني إسماعيل.
الذرو	كالنسف
الركن	كالجند
مخمصة	كالمسغبة
البعوض	في التمثيل إلى صغار البق
مكاء	كصفير الطير
خلصوا	كاعتزلوا
الوكز	كاللكز
الحكم	كالحكمة.

بطغواها	كالطغيان

4 . **التفسير بالسياق(العبارة):**

وهي أيضا إحدى الأدوات التي يعتمد عليها المعجمي واللغوي في تفسير المفردة اللغوية، والمقصود به أن يلجأ المفسر إلى عبارة يفسر بها المفردة، وذلك حينما لا يجد المرادف للمفردة أو يراه لا يؤدي الوظيفة والمعنى المراد، وفيما يلي بعض المفردات والسياقات التي فسرتها:

اللفظة	السياق
استبرق	الذي ثخن من ديباج.
الخاسئ	المبعد بالمذلة.
خطوات	آثار من الضلال.
الكظم	حبس امتلاء الغيظ والأحزان.
لهو	عن الخير شغل.
البطر	الطغيان عند النعم.
الهدى	ما أهدي من جنس النعم.
البقل	لا خلفة منه تجنى.
البكر	لا حمل بها صغيرة.
الطل	ما رقّ من الأمطار.

إن الزجلوي باستعماله لهذه الأدوات فهو لم يخرج عما أجمع عليه المعجميون السابقون له؛فقد استعان بمنهجهم في الكشف عن دلالات الألفاظ وشرحها أو تفسيرها.

❖ الظواهر اللغوية:

إن منظومة الزجلوي "ألفية الغريب" تعد من المنظومات التعليمية التي عالجت قضايا لغوية في الألفاظ القرآنية في مستوياتها المختلفة؛ صوتية، وصرفية، ونحوية، ودلالية. بالإضافة إلى تضمنها قضايا أخرى عامة كالقراءات وفقه اللغة...

وهنا سأحاول أن أقدم دراسة وصفية تحليلية ،لأبرز الظواهر اللغوية التي شكلت العناصر الرئيسية للمنظومة في موادها المختلفة، وذلك ضمن مسائل متنوعة تعكس بعض جوانب الدرس اللغوي عند الزجلوي.

إن الزجلوي لم تظهر في منظومته الظواهر اللغوية(الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية)بالمعنى الحقيقي للظاهرة، إلا أنه أشار في مواطن كثيرة إلى بعض المسائل الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية إشارة عابرة حسب ما يتطلبه المقام.

وفي مقابل ذلك تجده يستعمل النحو ولا مفر له من ذلك وهنا مربط الفرس حيث نجد الظواهر اللغوية متجلية بوضوح في الاستعمال أثناء الحديث فهو يكثر من الإبدال في الأصوات،وكذلك الاشتقاق الصرفي، والحكاية ،ومن التقديم والتأخير،والحذف في النحو ،والمشترك اللفظي والترادف والتضاد في الجانب الدلالي.

وقد وزعت هذه الدراسة في أربع ظواهر هي:

1 . الظواهر الصوتية:

لابد من البدء في الدراسة اللغوية لأي نص لغوي من أصغر جزء في الكلمة ؛الذي هو الجانب الصوتي.وفي منظومة الزجلوي جاءت المادة الصوتية متنوعة نوعا ما، وذلك لما لهذا الجانب من أثر في دلالة اللفظ، إلا أن الزجلوي لم يقف عند تلك الظواهر شارحا ولا معلقا، بل جاءت في ثنايا الحديث، وعندما يتطلب الموقف ذلك.ولأهمية الجانب الصوتي في الدراسة اللغوية سأتوقف عند جانب صوتي جاء في المنظومة حيث مثل ظاهرة صوتية،وليس معنى ذلك أن النص خلو من ظواهر صوتية أخرى غير التي أذكرها ،وإنما اكتفي بما ذكرت تجنبا لطول الدراسة.

- **الإبدال**:

يعد الإبدال عاملا من عوامل تطور اللغة وتطور مفرداتها من حيث بنيتُها ودلالتُها[(124)]،إن ظاهرة الإبدال درسها علماء العربية قديما طبيعتها وشروطها[(125)]وقد اختلفوا في تعريفها[(126)].

الإبدال:لغة:قال الجوهري:"بدّل الشيء غيّره...واسْتَبْدَلَ الشيءَ بغيره وتبدّله به،إذا أخذه مكانه"[(127)].

---

124 – شرح الفصيح لابن هشام اللخمي (ت 577هـ) تحقيق ودراسة،(رسالة دكتوراه)،عبد الكريم عوفي،جامعة الجزائر،معهد اللغة والأدب العربي،(غير مطبوع)،1412هـ – 1992م،136/1.

125 – ينظر:جامع الدروس العربية،123 – 129.

126 – ينظر:المزهر في علوم اللغة وأنواعها،السيوطي،تح:محمد أحمد جاد المولى،وعلي محمد البجاوي،ومحمد أبو الفضل إبراهيم،دار الجيل،بيروت،لبنان،د ط،د ت،460/1 و461.

وجاء في لسان العرب:"تنحية الجوهرة واستئناف جوهرة أخرى."[128]

أما في الاصطلاح هو إزالة حرف ،ووضع آخر مكانه.[129]

وقال ابن فارس:"من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض،ويقولون :مَدَحَه ومَدَهَه، وفرس رفل ورفن."[130]

وقال ابن يعيش:"البدل أن تقيم حرفا مقام حرف..."[131]

ومن صور الإبدال الواردة في ألفية الغريب:

- **تخفيف الهمزة:**

إن حرف الهمزة من أكثر الأصوات اللغوية تعرضا للتغيرات من تخفيف وحذف وإبدال،وقد اهتم علماء العرب قديما بهذا الصوت من حيث تحديدُ مخرجه وصفته...[132]

فالهمزة من الحروف الحلقية فهي تخرج من أقصى الحلق،مجهور شديد[133].فهو على هذه الحال يحتاج إلى جهد عضلي كبير حتى ينطق ولذلك عُدَّ من أشق الأصوات نطقا.

ونظرا لهذه المشقة حدث في لغات العرب تخفيفها ؛فمن العرب من ينطقها ،ومنهم من يترك نطقها[*] وذاك ما اصطلح عليه بتخفيف الهمزة،ويحدث التخفيف في الهمزة بإحدى الطرق الثلاثة:الإسقاط،أو التسهيل،أو الإبدال.

---

127 ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،الجوهري،تح:أحمد عبد الغفور عطّار،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،طك4 ،1990م،مادة (بدل)،1632/4.

128 ـ لسان العرب،مادة(بدل)،39/2.

129 ـ جامع الدروس العربية،123/2.

130 ـ الصاحبي في فقه اللغة،ابن فارس،تح:عمر فاروق الطباع،مكتبة المعارف،بيروت،لبنان،ط:1، 1414هـ ـ 1993م،ص:209.

131 ـ شرح المفصل،ابن يعيش،عالم الكتب،بيروت،لبنان،د ط،د ت،7/10.

132 ـ ينظر:فقه اللغة وخصائص العربية،محمد المبارك،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،د ط،1426/1425هـ ـ 2005م،ص:46 ـ50.ومناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين،رمضان عبد التواب،مكتبة الخانجي،القاهرة،مصر العربية،ط:1 ،1406هـ ـ 1986م،190 ـ 195.

133 ـ ينظر:كتاب سيبويه،433/4 ـ 434،هناك اختلاف حول صفة صوت الهمزة بين القدامى والمحدثين ؛فهو عند القدامى مجهور،وعند المحدثين مهموس،وعند فريق ثالث لا هو مجهور ولا مهموس.(ينظر:علم الأصوات اللغوية،مناف مهدي محمد،عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط:1 ،1419هـ ـ 1998م،ص:86.).

وقد وردت في ألفية الغريب ألفاظ كثيرة وقع فيها التخفيف، أذكر منها ما جاء في البيت 08:

عَلَى مَسَاوِي مِن القَوَافِي   أَدَّتْ إِلَى العَجَزةِ الضِّعَافِ

فلفظة(مساوي) حدث فيها تخفيف الهمزة وذلك على لغة قريش(الحجاز)،فقد حذفت الهمزة حتى يسهل نطق الكلمة ويتم بها إقامة الوزن.

ومن الألفاظ التي وقع فيها التخفيف والهمز أذكر قولَه في البيت 740:

بَادٍ: مِنْ أَهْلِ البَدْوِ حَيْثُ كَانَا،   وَبَادِيَ الرَّأْيِ: وُضُوحًا آنَا

وَبَادِئَ الرَّأْيِ بِهَمْزٍ أَوَّلُهْ،   بَدَأْكُمْ: أَنْشَأَ فِيْمَا نَعْقِلُهْ

فقد جاء الناظم في عجز البيت الأول بلفظة (بادي)،ووفي صدر البيت الثاني بلفظة (بادئ) فالهمزة في الأولى مخففة،وفي الثانية محققة.

ومنها كذلك في الإسقاط قوله في البيتين 449 و450:

مُتَّكَأً:إِمَّا طَعَامًا يُقْطَعُ   لِلاتِّكَاءِ عِنْدَهُ إِذْ يُوضَعُ

وَقِيْلَ مَجْلِسًا،أَوِ الوَسَائِدْ،   وَشذَّ مُتْكًا بِالسُّكُونِ الوَارِدْ

وفي صدر البيت الأول جاء الناظم بلفظة متكأ وقد حقق الهمزة فيها،وفي عجز البيت الثاني أسقطها.

2 . الظواهر الصرفية:

- **الاشتقاق:**

لقد حظي الاشتقاق في المنظومة بشأن كبير، وذلك لما له من أثر بارز في الدلالة اللفظية، ومن هنا كان الاشتقاق هو الظاهرة الأبرز فيها، فكان الناظم كثيرا ما يستعمل اللفظة ويفسرها ثم يقول ومنه أي ومن مشتقاته كذا... كما هو الشأن في قوله في البيت 90:

* ـ أهل الحجاز لا ينطقونها ،وغيرهم ينطقها.

أَشْرَقَ ،أَسْفَرَ ،أَضَاءَ : رَادِفَهْ، وَالأَزَفُ: القُرْبُ، وَمِنْهُ الآزِفَهْ

ففي عجز البيت ذكر لفظة الأزف بمعنى القرب ومنه أي من مشتقاته الآزفة.

ومن المشتقات وطريقته في ذكرها قوله في البيت 440:

تَلْفِتَ: تَصْرِفَ وَفِعْلُهُ لَفَتْ وَغُمَّةً: مِنْ غُمَّ أُخْفَى ثَبَتْ

ففي صدر البيت ذكر الفعل وهو من المشتقات كذلك،وغير هذا في المنظومة كثير.

3 . الظواهر النحوية:

إن المتتبع لمنظومة ألفية الغريب لا يكاد يقع على ظاهرة نحويه مفصّلة ،وذلك لأن الناظم قد علل ذلك في بداية المنظومة قائلا في البيت 22:

وَأَدَوَاتُ النَّحْوِ فِي التَّفْسِيرِ أَشْبَعْتُ فِيهَا القَوْلَ فِي التَّقْرِيرِ

إشارة منه إلى أنه قد ترك الحديث عن المسائل النحوية في هذه المنظومة؛ لأنه قد أشبعها تفصيلا في منظومة أخرى[134]،ولكنك تجد استعمالات لمسائل وظواهر نحوية منها الحكاية ، النعت المقطوع ، التمييز ، المفعول المطلق ، المبتدأ والخبر...

- **الحكاية:**

كثيرا ما كان الناظم يستعمل اللفظة كما وردت في القرآن الكريم حكاية عن المولى عز وجل، ولكن قبل عرض بعض النماذج التي استعمل فيها الناظم الحكاية علينا أن نعرف؛ ما الحكاية؟ وما المحكي؟

الحكاية لغة:جاء في كتاب العين:"حكي:حَكَيْتُ فلانًا وحاكيتُه إذا فعلتُ مثل فعله،أو قوله."[135]

وقال الجوهري:"حَكَيْتُ عنه الكلام حِكايَةً، وحَكَوْت لغةٌ حَكاها أبو عبيدة. وحَكَيْتُ فِعْلَهُ وحاكَيْتُهُ، إذا فعلتَ مثل فِعْلِهِ وهيئتِهِ. والمحَاكاةُ: المشابَهَةُ. يقال: فلان يَحْكي الشمسَ حُسْناً ويُحاكيها، بمعنىً. وأَحْكَيْتُ العُقْدَةَ: لغةٌ في أَحْكَأْتُها، إذا قوّيتَها وشَدَدْتَها"[136].

وقال ابن منظور:"حكي:الحِكاية:كقولك حكَيْتُ فلانا وحاكيته فعلتُ مثل فعله،أو قلتُ مثل قوله سواءً لم أجاوزه."[137]

الحكاية اصطلاحا:قال ابن الدهّان[138] ت(569هـ):"اعلم أن الحكاية . هو أن تأتي بالشيء المحكي على ما به . قريبة من الأمثال التي تأتي للمذكر بصيغة المؤنث،وللمؤنث بصيغة المذكر وكذلك ترد

134 ــ هي ألفية في التفسير ولا تزال هذه الألفية ضائعة في الخزائن ولم يتم العثور عليها بعد.

135 ــ كتاب العين،مادة (حكى)،باب الحاء والكاف و(و ا ي ء)معهما،257/3.

136 ــ الصحاح ،مادة(حكى)،2317/6.

137 ــ لسان العرب،مادة (حكي)،188/4.

138 ــ هو سعيد بن المبارك بن علي بن عبد الله بن سعيد البغدادي المعروف بابن الدهان،أديب ونحوي ولد سنة 493هـ وقيل سنة 494هـ ،وتوفي سنة 569هـ بالموصل(بغية الوعاة،587/1.).

للاثنين،والجميع بصيغة المفرد،فلا تغيّر عما وردت عليه...تأتي مع (من)،و(أي)،وبعد القول وما أشبهه."[139]

ويعرّفها محمد بن علي الصبّان بقوله:"الحكاية:هي المماثلة،واصطلاحا إيراد اللفظ المسموع على هيئته من غير تغيير؛ كمنْ زيدا، إذا قيل: رأيت زيدا،أو إيراد صفته،نحو أيًّا لمن قال:رأيت زيدا"[140]،والحكاية تزيل الالتباس، وتزيد التوسع في الكلام[141].

مما سبق يتضح لنا أن الحكاية هي أن تفعل ،أو تقول مثل ما قال السابق دون زيادة أو نقصان،ولقد تحدث النحاة الأوائل عن الحكاية فاختلفوا فيما يجوز أن يحكى وما لا يجوز حكايته.

ويمكن التوصل في تعريف الحكاية إلى الآتي:الحكاية هي أن يحكى المحكي . مفردا كان أم جملة .كما قيل أو سمع مهما اختلفت العوامل الإعرابية الداخلة عليه.

والمكحي ثلاثة أنواع عند ابن السراج:جملة ،وشبه جملة،اسم (مفرد)[142]،وهو عند خالد الأزهري:جملة ،ومفرد (العَلَم)،وحال المفرد(بأيّ ومَنْ الاستفهاميتين)[143]،وجعله الأشموني في نوعين:جملة ،ومفرد[144].

إن العرب في الحكاية أربعة: منهم من يجيزها في المعارف دون النكرات،ومنهم من يجيزها في المعارف والنكرات،ومنهم من يخصها بالاسم العلم والكنية والنكرات،ومنهم من لا يجيزها أصلا[145].

---

139 ـ الغرة في شرح اللمع،سعيد بن الدهان،(مصور مخطوط،دار الكتب المصرية)،نقلا عن اللمع في العربية،ابن جني،تح:حامد المؤمن،عالم الكتب مكتبة النهضة العربية،بيروت،لبنان،ط:2 ،1405هـ ـ 1985م،ص:306.

140 ـ حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك،محمد بن علي الصبان،تح:إبراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط:1 ،1417هـ ـ 1997م،124/4.والمصطلحات النحوية والصرفية ،محمد سمير نجيب المبدي،مؤسسة الرسالة،بيروت،د ط ،د ت،ص:66.

141 ـ أسرار العربية،الأنباري،تح:بركات يوسف هبود،شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط:1 ،1420هـ ـ 1999م،ص،ص:270 و271.

142 ـ ينظر:الأصول في النحو،ابن السراج،تح:عبد الحسين الفتلي،مؤسسة الرسالة،بيروت،لبنان،ط:1 ،1405هـ ـ 1985م،104/2.

143 ـ شرح التصريح على التوضيخ أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو،خالد الأزهري،تح:محمد باسل عيون السود،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط:1 ،1421هـ ـ 2000م،479/2،ولغة قريش،مختار الغوث،دار المعراج الدولية للنشر،المملكة العربية السعودية،ط:1،1418هـ ـ 1997م ،ص:182.

144 ـ شرح الأشموني لألفية ابن مالك،تح:عبد الحميد السيد عبد الحميد،المكتبة الأزهرية للتراث،القاهرة،ج م ع،د ط، د ت ،176/4.

. فأما الصنف الأول الذي أجازها في المعارف دون النكرات، فقد أجاز يونس حكاية سائر المعارف قياسا على العلم[146]، وكذلك فعل المبرد حيث قال:"ولو سميت رجلا(عاقلةٌ لبيبةٌ)لكان الوجه فيه أن تقول:مررت بعاقلةٍ لبيبةٍ،وجاءتني عاقلةٌ لبيبةٌ،لأنك سميت باسمين كلاهما نكرة،فجعلت الثاني تابعا للأول كحالهما كانت في النكرة،ولو سميت بـ(عاقلة)وحدها لكان الأجود أن تقول:هذه عاقلة قد جاءت؛لأنه معرفة،فيصير بمنزلة حَمْدَةَ غيرَ منصرف ،والحكاية تجوز،وليس بالوجه،لأنه على مثال الأسماء"[147]،وأورد ابن الأنباري في كتابه (أسرار العربية) هذا البيت لذي الرمة:

سَمِعْتُ النَّاسُ يَنْتَجِعُونَ غَيْثًا فَقُلْتُ لِصَيدَحَ :انْتَجِعِي بِلالا

والشاهد في البيت هو رفع (الناسُ) على الحكاية[148].

. وأما الصنف الثاني الذي جعلها في المعارف والنكرات،فقاسوا النكرات على المعارف،ومن أمثلته، قال سيبويه:"كما قال بعض العرب:(دعنا من تمرتان) ،على الحكاية لقوله:(ما عنده تمرتان)"[149]، فإن أهل الحجاز حملوا قولهم على أنهم حكوا ما تكلم به المسؤول.

. أما الصنف الثالث فهم الحجازيون فمنهم من حصر الحكاية في الاسم العلم والكنية دون بقية المعارف ،قال السيوطي:"تحكى الأعلام بمَن دون سائر المعارف"[150]،شريطة ألا يكون عدم الاشتراك فيه متيقنا[151]، وألا يسبقه حرف عطف،وألا يقترن بتابع،وأن يكون عاقلا[152].

وقد خص أهل الحجاز العلم والكنية بالحكاية لأنهما نقلا عن وضعهما ودخلهما التغيير[153].ومنهم من حكى غير الأعلام (النكرات)بـ(مَنْ،وأي)فإن قال رأيت رجلا وحمارا قلت:مَنْ

---

145 ـ ينظر:أسرار العربية،ص:270 و271،لغة تميم دراسة تاريخية وصفية،ضاحي عبد الباقي،مجمع اللغة العربية،القاهرة،1405هـ ـ 1985م،ص:505.

146 ـ شرح الأشموني،175/4.

147 ـ المقتضب،المبرد،تح:محمد عبد الخالق عضيمة،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،القاهرة،ج م ع،ط:2، 1399هـ ـ 1979م،12/4.

148 ـ الجمل في النحو،الخليل بن أحمد الفراهيدي،تح:فخر الدين قباوة،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت لبنان،ط:1 ،1405هـ ـ 1985م،ص:150،وأسرار العربية،ص:270.وقد أورد الأشموني هذا البيت في حكاية الجملة حيث جعل الشاهد(الناس ينتجعون غيثا) ينظر:شرح الأشموني،177/4.

149 ـ الكتاب،413/2.وينظر:أسرار العربية،ص:270.

150 ـ الأشباه والنظائر في النحو،السيوطي،تح:محمد عبد القادر الفاضلي،المكتبة العصرية،بيروت،لبنان،د ط ،1426هـ - 2006م، 290/2.

151 ـ شرح الأشموني،175/4.

152 ـ ينظر:لغة قريش،ص:182.

،وأيًّا[154].ويقول سيبويه:"لو قال:رأيت رجلا قلت:أيًّا؟... فإن تكلم بجميع ما ذكرنا مجرورا جررت أيًّا،وإن تكلم به مرفوعا رفعت أيًّا ،لأنك إنما تسألهم على ما وضع المتكلم كلامه."[155]

وعلى هذا فالحجازيون قد يعربون العلم المحكي بالعلامات المقدرة على الحكاية مثل إعراب الأسماء الستة والمثنى[156]،وقد يهملونه ويعربونه بعلامات ظاهرة وفقا لوظيفته النحوية في الجملة على لغة تميم.

. أما الصنف الرابع الذي لا يجيز الحكاية أصلا فهم التميميون[157]،إن بني تميم لا يجيزون الحكاية أصلا،وجعل بعض النحاة من ذلك أصلا وقياسا قال سيبويه:"وأما بنو تميم فيرفعون على كل حال،وهو أقيس القولين"[158]،وقال أبوحيان:"الإعراب أقيس من الحكاية لأنها لا تتصور إلا بخروج الخبر عما عُهِد فيه الرفع"[159]،و يرى ضاحي عبد الباقي أن اللهجة التميمية أسبق من اللهجة الحجازية، وهي الأقيس والأفصح[160].

وعليه نقول إن الحكاية اليوم على لغة أهل الحجاز[161]،والحكاية تكون باسمي الاستفهام (أيّ،ومَنْ) وما عداهما عده النحاة شاذا[162]أي حكاية النكرة والمعرفة غير المستفهم عنهما بأي أو بمن.

إن الزجلوي أخذ (حكى) مفردات وجملا قرآنية، وتركها على هيئتها كما وردت في القرآن الكريم، مع أن المحل الذي وضعها فيه لا يتناسب والحركة التي جاءت بها في القرآن الكريم ،وعلامة الحكاية في المكتوب أن يوضع المحكي بين قوسين صغيرين ،ومن تلك الأمثلة :

المفردات المحكية من القرآن الكريم في المنظومة:كقوله في البيت 155:

وَمُتَكَسِّرًا مِنَ النَّبَاتِ، أَوْ قُلْ فُتَاتًا؛ فِي (حُطَامًا) تَأْتِ

153 ـ ينظر:أسرار العربية،ص:271.

154 ـ الصحاح،2208/6.وحذفت الزيادة من (مَنْ) لأننا لم نقف عليه.

155 ـ كتاب سيبويه،سيبويه،تح:محمد عبد السلام هارون،دار الجيل،بيروت،لبنان،ط:1،د ت،407/2.

156 ـ في لغة القصر.

157 ـ ينظر:الكتاب،413/2،وأسرار العربية،ص:271،ولغة تميم،ص:506.

158 ـ الكتاب،413/2.

159 ـ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع،السيوطي،تح:أحمد شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط:1 ،1418هـ ـ 1998م،231/4.

160 ـ ينظر:لغة تميم،ص:506.

161 ـ ينظر:الصحاح،2208/6.

162 ـ ينظر شرح الأشموني،178/4،ولغة تميم،ص:505.

فلفظة (حطاما) جاء بها الناظم منصوبة على الرغم من وجود حرف جر قبلها يمكن جرها، فنقول:(حطامٍ) إلا أن الناظم تركها منصوبة لأنها جاءت في الآية كذلك،وفي ثلاثة مواضع من القرآن الكريم[163]،ولهذا نقول إنها منصوبة على الحكاية.

الجمل المحكية من القرآن الكريم في المنظومة:والحكاية في الجمل بأن تجعل الجملة المحكية مبتدأ،مثل قوله في البيت 250:

وَالنَّشْأَةُ: الخِلْقَةُ، أَنْشَأَ: ابْتَدَا، (يَنْشَأُ فِي الحِلْيَةِ): يَنْمُو بِاهْتِدَا

فجملة (ينشأ في الحلية) وضعها الناظم على الحكاية ،وهي ها هنا في محل رفع على الابتداء،وغير هذه الأمثلة كثيرة في المنظومة.

163 ـ في سورة الزمر الآية 21،وسورة الواقعة الآية 65،وسورة الحديد الآية 20.

- **التقديم والتأخير:**

والمقصود بالتقديم والتأخير هو تبديل الرتب أو المراتب بين العناصر الأساسية للجملة الاسمية أو الفعلية،فيتقدم ما الأصل فيه أن يتأخر،ويتأخر ما الأصل فيه أن يتقدم.

والتقديم والتأخير نوعٌ من التصرُّف في التركيب والعدول عن أصل ترتيب عناصره لغاية بيانيَّة أو معنويَّة،وهذا التصرُّف لا يكون اعتباطًا لغير علَّة،وإلاَّ كان جورًا على التركيب ومعناه،وإفسادًا للكلام برمته.

وفي هذا يقول الجرجاني مبينا قيمة الظاهرة:"هو باب كثير الفوائد،جَمُّ المحاسن،واسع التصرف،بعيد الغاية،لا يزال يفترّ لك عن بديعة،ويفضي بك إلى لطيفة،ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعُه،ويلطف لديك موقعُه،ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن تقدم فيه شيء وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان."[164]

الجرجاني في هذا الكلام يريد أن يبين أن التقديم والتأخير في الكلام لا يكون عبثا وإنما هو شيء له دواعيه وأغراضه ،بالإضافة إلى جمال العبارة وحسن تركيبها،ويضيف :"واعلم أن تقديم الشيء على وجهين:تقديم يقال إنه على نية التأخير وذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه...وتقديم لا على نية التأخير ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم وتجعله بابا غير بابه،وإعرابا غير إعرابه."[165]

وحاول النحاة أن يحددوا للتقديم والتأخير بعض الأغراض،ويبقى الغرض الأول منه هو ما ذكره سيبويه في قوله:"يقدِّمون الَّذي بيانه أهمُّ لهم،وهم ببيانه أعنى،وإن كانا جميعًا يُهِمَّانهم ويعنيانهم."[166]،وجعله عبد القاهر قاعدةً للتقديم بقوله : "واعلم أن لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئًا يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام."[167] وكأنهما يخصان التقديم بغرض واحد ألا وهو العناية

164 ـ دلائل الإعجاز في علم المعاني،عبد القاهر الجرجاني،تح:السيد محمد رشيد رضا،دار المعرفة،بيروت،لبنان،ط:3 ،1422هـ ـ 2001م ،ص:85.

165 ـ المرجع نفسه،ص،ص:85 و86.

166 ـ كتاب سيبويه،34/1.

167 ـ دلائل الإعجاز في علم المعاني،ص:86.

والاهتمام،إن العناية والاهتمام لا تكفيان كسبب للتقديم والتأخير، ولذا نجد العلماء قد ذكروا أغراضا أخرى قد تكون وجوها للعناية والاهتمام ، نذكر منها:

التخصيص ، التفاؤل ، التشاؤم ، التنبيه ، التعيين ، التأكيد ، والتقرير...[168]

تقديم الخبر على المبتدأ:

اختلفت المدرستان النحويتان في تقديم الخبر على المبتدأ فذهبت مدرسة الكوفة إلى عدم جوازه، وذهبت مدرسة البصرة إلى جواز ذلك وجاءت كل مدرسة بحججها وأدلتها[169].

وقد حصر النحاة بعض الحالات التي يتقدم فيها المبتدأ على الخبر وهي كالتالي:

. المبتدأ نكرة غير مفيدة،مخبرا عنها بظرف أو جار ومجرور.

. الخبر اسم استفهام،أو مضاف إلى اسم استفهام.

. إذا اتصل بالمبتدأ ضمير يعود إلى شيء من الخبر.

. أن يكون الخبر محصورا في المبتدأ.[170]

تقديم المفعول به:

على الفاعل:يتقدم المفعول به على الفاعل جوازا:

. إذا أمن اللبس.

ويتقدم وجوبا على الفاعل:

. المفعول به ضمير متصل بالفعل.

---

168 ـ ينظر هذه الأغراض في الإيضاح في علوم البلاغة،القزويني،تح:محمد عبد المنعم خفاجي،دار الجيل،بيروت،لبنان،ط:3 ،د ت،135/2 و136.وفي تقديم المفعول به 162/2 ـ 166.وعلم المعاني - البيان - البديع،عبد العزيز عتيق،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،د ط،د ت،ص:133 ـ 141.

169 ـ ينظر:الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين،الأنباري،تح:محمد محي الدين عبد الحميد،المكتبة العصرية للطباعة والنشر،صيدا،بيروت،لبنان،د ط،1419هـ ـ 1998م،65/1 ـ 70.

170 ـ ينظر هذه الحالات في جامع الدروس العربية،مصطفى الغلاييني،المكتبة العصرية للطباعة والنشر ،بيروت، لبنان ،ط:14 ،1400هـ ـ 1980م،271/2 و272.

. إذا اتصل بالفاعل ضمير يعود على المفعول به.

. إذا حصر الفعل في المفعول به.

ويتقدم المفعول به على الفعل والفاعل معا في بعض الحالات منها:

جوازا:لإبرازه ولفت النظر إليه.

ووجوبا:أن يكون من أسماء الشرط،أو مضافا لاسم الشرط.

. أن يكون من أسماء الاستفهام،أو مضافا لاسم استفهام.

. أن يكون "كم" أو "كأين" الخبريتين ،أو مضافا إليهما.

. أن ينصبه جواب "أمّا" وليس لجوابها منصوب غيره.[171]

فهل كان الزجلوي مراعيا لتلك الأغراض،ووفقا للحالات التي ذكرها النحاة أثناء تقديمه وتأخيره في منظومته؟ هذا ما سنحاول الكشف عنه في الآتي.

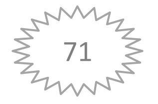
لا أحسب أن الزجلوي كان يقوم بذلك عبثا، وإنما كان يرمي من ورائه إلى مقاربة تلك الأغراض، وملتزما بقواعد النحاة ،وفيما يلي نحاول دراسة نموذجين من التقديم والتأخير الذي جاء به الزجلوي في منظومته،فقد قال في البيت 41:

إِنْذَارٌ:إِعْلَامٌ مَعَ التَّخْوِيفِ، وَالموْجِعُ؛ الأَلِيمُ فِي التَّعْرِيفِ

فالتقديم حدث في (الموجع؛الأليم)حيث قدّم الناظم المعنى على اللفظ المراد شرحه وذلك في نظري بداعي إقامة الوزن ،وبغرض التنويع وإبعاد الملل عن القارئ،مع فتح فسحة له حتى يفكر فيما هو مكتوب أمامه.

ومن جهة أخرى أرى أن الناظم قد قدّم على نية التأخير؛ فهو لم يغيّر حكم (الموجع) من كونها خبرا إلى مبتدأ وكذلك (الأليم)،فمن المفروض أن يقول:(الأليم:الموجع في التعريف)ولكنه قدم الخبر على المبتدأ مع عدم تغيير الحكم والإعراب.

171 ـ ينظر كل هذه الحالات في جامع الدروس العربية،6/3 ـ 11.



وفي مثل هذه الحالات يكون التقديم والتأخير غير جائز وليس واجبا لأن كلا من المبتدأ والخبر متساويان في التعريف، ولا يؤمن اللبس في تقديم الخبر على المبتدأ،وما فعله الزجلوي إنما عرفنا المبتدأ من الخبر باعتماد سياق خاص هو اللفظ القرآني وأنه المقصود بالشرح،وهذا النوع من التقديم والتأخير في المنظومة كثير[172].

وفي قوله في البيت 278:

وَفِي الصَّدِيدِ السَائِلِ؛الغَسَاقُ: أَوْ بَارِدُ المَاءِ لَهُ إِحْرَاقُ

والشاهد في البيت هو(وفي الصديد السائل؛الغساق) حيث تقدم الخبر (في الصديد السائل) على المبتدأ (الغساق)،فالجملة اسمية،وسبب التقدم هو وقوع الخبر شبه جملة والمبتدأ معرفة،ونوع التقدم جوازا،حيث يمكننا أن نقدم المبتدأ على خبره فنقول:(الغساق:في الصديد السائل).

172 ـ ينظر:الأبيات على سبيل المثال لا الحصر:51،58،71،76،...503،675...

- **الحذف**:

الحذف ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية، لكنها في اللغة العربية أكثر ثباتًا ووضوحًا؛ لأن من خصائصها الأصيلة الميل إلى الإيجاز والاختصار، والحذف يعد أحد نوعي الإيجاز،وقد نفرت العرب مما هو ثقيل في لسانها، ومالت إلى ما هو خفيف.

الحذف في اللغة: القطع والإسقاط؛ جاء في الصحاح:"حَذْفُ الشيءِ: إسقاطُه. يقال: حَذَفْتُ من شَعْري ومن ذَنَبِ الدابَة، أي أخذت ...وحَذَفْتُ رأسَه بالسيف، إذا ضربته فقطعتَ منه قطعةً. "[173]

وفي لسان العرب: "حذَفَ الشيءَ يَحْذِفُه حَذْفاً قَطَعَه من طَرَفه والحَجَّامُ يَحْذِفُ الشعْر."[174]
لقد عني القدامى – من نحاة وبلاغيين – بدراسة هذه الظاهرة.

فهذا الجرجاني يقول عن الحذف:"هو باب دقيق المسلك،لطيف المأخذ،عجيب الأمر،شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر ،أفصح من الذكر،والصمت عن الإفادة،أزيد للإفادة،وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق،وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن."[175]

ومن أسباب ودواعي الحذف: كثرة الاستعمال ، اجتناب التكرار،طول الكلام...

ويتم الحذف لعدة أغراض منها:الخوف على أو من المحذوف ، التعظيم ، الاحتراز...[176]

173 ـ الصحاح ،مادة (حذف)،1341/4.
174 ـ لسان العرب،مادة(حذف)،65/4.
175 ـ دلائل الإعجاز،ص:106.

وقد استعمل الزجلوي في منظومته هذا الأسلوب،وتكرر فيها أكثر من مرة،وجاء ذلك غالبا من أجل عدم التكرار والوقوع فيه ونورد أمثلة على ذلك،كقوله في البيت 14:

مِنْ جُلِّ مَا أَوْرَدَهُ العُزَيْزِي، وَذُو الجَلَالَيْنِ بِلَا تَمْيِيزِ

وفي هذا المثال حذف الناظم المسند (الفعل) في الشطر الثاني،وذلك قصد الاختصار واجتناب التكرار لضيق المقام،فإذا ذكر المسند قال:"وما أورده ذو الجلالين بلا تمييز."فيضيع الوزن وتطول الجملة ويكون فيها تكرار غير مقبول.

وكذلك في البيت 24 قوله:

وَاللهُ يَنْفَعُ بِهِ مَنْ حَصَّلَهْ، وَمَنْ سَعَى فِيْهِ بِخَيْرٍ عَنَّ لَهْ

وفي هذا المثال حذف الناظم جملة كاملة من الشطر الثاني وهي جملة (الله ينفع به)،وكان ذلك بغرض الاختصار واجتناب التكرار كذلك، فلو كرر الجملة المحذوفة لقال:(والله ينفع به من سعى فيه بخير عنّ له)،فيفسد الوزن ويذهب جمال العبارة.

176 ـ ينظر:علم المعاني ـ البيان ـ البديع،ص:120 ـ 129.

4 . الظواهر الدلالية:

منظومة الزجلوي "ألفية الغريب" اشتملت على ظواهر دلالية كثيرة ومتنوعة، وقد جاءت موزعةً على أقسام المنظومة ،فهو لم يفرد لتلك الظواهر بابا خاصا بكل ظاهرة،اللهم إذا استثنينا القسم الثالث الخاص بالوجوه والنظائر.

ولأهمية هذه الظواهر فقد رأيت أن أفرد لها عنصرا خاصا أدرس فيه أربع ظواهر هي:المشترك اللفظي،والترادف،والتضاد،والفروق الدلالية،محاولا إبراز منهج الزجلوي في التعرض لهذه الظواهر وموقفه منها.وفيما يلي دراسة كل ظاهرة على حده:

- **المشترك اللفظي**:

يقول ابن فارس:"معنى الاشتراك :أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر"[177]،وقال السيوطي:" وقد حدَّه أهل الأصول بأنه اللفظُ الواحدُ الدالُّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالةً على السواء عند أهل تلك اللغة."[178]

177 ــ الصاحبي في فقه اللغة،ص:261.

178 ــ المزهر في علوم اللغة وأنواعها،369/1.

ويسميه أحمد محمد قدور بتعدد المعنى ،أما المشترك اللفظي فيقول:"المشترك اللفظي يدل على اتفاق اللفظ مشافهة،أو في الكتابة خطا،أو كليهما معا."[179]

إن أحمد محمد قدور يرى أن هناك خلطا لدى علماء العرب القدامى بين تعدد المعنى polysémie ،وبين المشترك اللفظي homonymie،وقد درسوا تعدد المعنى تحت المشترك اللفظي،في حين أغفلوا أو أهملوا المشترك اللفظي تماما[180].

وجعله محمود عكاشة صورة من صور تعدد المعنى،وهو لا يختلف عن الوجوه والنظائر ،أو الأشباه والنظائر.[181]

والمشترك اللفظي هو أحد عوامل نمو اللغة ،وتطور ألفاظها، يقول محمد المبارك:"إن أكثر الأصول التي تشتق منها الألفاظ للدلالة على معان جديدة ذات معان عامة ،لذلك فقد تستعمل للدلالة على مسميات مختلفة تشترك في تلك الصفة أو ذلك المعنى العام."[182]

وقد ألف العرب القدامى في المشترك اللفظي كتبا خاصة،ومنهم من خصه بأبواب أو بباب ضمن تآليفهم[183].وانقسم علماء العرب قسمين بين مؤيد لوقوعه في اللغة وهم الأكثر، وغير مؤيد؛ فمن المؤيدين لوقوعه نجد الخليل بن احمد الفراهيدي،وسيبويه،وأبي عبيدة،وابن فارس،وابن خالويه، والمبرد... ومن الذين لا يؤيدون وقوعه نجد ابن درستويه[184].

وأسباب نشؤ المشترك في اللغة العربية:تعدد اللهجات العربية واختلافها ،الاستعمال المجازي وتضييق دلالة العام، وتوسيع دلالة الخاص ، الاقتراض اللغوي،التطور الدلالي.[185]

179 ـ مبادئ اللسانيات،أحمد محمد قدور،دار الفكر المعاصر،بيروت، لبنان،ط:2، 1419هـ ـ 1999م،ص:316.

180 ـ ينظر:المرجع نفسه،ص:313.

181 ـ ينظر:الدلالة اللفظية،محمود عكاشة،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،د ط،د ت،ص:61.

182 ـ فقه اللغة وخصائص العربية، ص:198.

183 ـ ينظر:علم الدلالة العربي(النظرية والتطبيق)،فايز الداية،دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر،دمشق،سوريا،ط:1 ،1405هـ ـ 1985م،ص ص:78 و79.

184 ـ ينظر:المزهر في علوم اللغة وأنواعها،370/1 ـ 374.

185 ـ ينظر:المزهر في علوم اللغة وأنواعها،369/1،والدلالة اللفظية،ص ص:65 و66.

إن الزجلوي خصص قسما كاملا للمشترك اللفظي وسماه ب"الوجوه والنظائر" إلا أنه أدخل معه الأضداد ،وذلك لأنها تدخل ضمن تعدد المعاني للفظ الواحد[186]،ومن الأمثلة على ذلك قوله في البيت 700:

وَاحِدُ آيَاتِ الكِتَابِ؛ آيَةْ وَعِبْرَةٌ، عَلامَةٌ، دِلالَةْ

والناظم هنا يريد أن لفظة آية في القرآن الكريم لها ثلاثة معان هي:عبرة ،وعلامة،ودلالة،وغير هذا كثير في المنظومة وبشكل خاص في القسم الثالث منها(الوجوه والنظائر).

- **الترادف**:

قال فخر الدين الرازي:"هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد"[187].

ويقول أحمد محمد قدور:"الترادف هو تعدد الدوال التي تشير إلى مدلول واحد."[188]

وانقسم علماء العربية في الترادف إلى ثلاثة مذاهب بين منكر له ومؤيد،وفريق ثالث ينكر الترادف المطلق.[189] وابن فارس من الذين يقولون بعدم وجود الترادف في اللغة،وجعل الناس فيه على مذهبين فقط، فيقول:"ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى،وَقَدْ خالف فِي ذَلِكَ قوم،فزعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها فإنها ترجع إِلَى معنى واحد. وذلك قولنا: " سيف وعضب وحُسام " .وقال

186 – ينظر:فقه اللغة وخصائص العربية،ص:199.

187 – المزهر في علوم اللغة وأنواعها،402/1.

188 – مبادئ اللسانيات،ص:310.

189 – ينظر:تاريخ آداب العرب،مصطفى صادق الرافعي،دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان،ط:1 ،1424هـ – 2003م، 125/1.

آخرون: لَيْسَ منها اسم ولا صفة إلاَّ ومعناه غيرُ معنى الآخر. قالوا: وكذلك الأفعال. نحو: مضى وذهب وانطلق،وقعد وجلس،ورقد ونام وهجع، قالوا: ففي " قعد " معنى لَيْسَ فِي " جلس " وكذلك القول فيما سواهُ.وبهذا نقول، وهو مذهب شيخِنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب."[190]

وقد ألف في الترادف علماء كثيرون كالأصمعي والرماني والفيروز آبادي ...

ومن أسباب وجوده في اللغة العربية:تعدد اللهجات العربية المختلفة ، شيوع الصفات على مسمى واحد،أو إحلال الوصف محل اللفظ لشهرته به ، التطور اللغوي لأسباب صرفية أو دلالية ، الاستعارة من اللغات الأخرى بسبب التواصل والاتصال.[191]

وكثيرا ما كان الزجلوي يشرح اللفظة القرآنية بالمرادف كما بينا ذلك في وسائل التفسير،وكان أيضا يفسر اللفظة القرآنية بلفظة قرآنية يراها مرادفة لها،ومن أمثلة ذلك على سبيل المثال لا الحصر،قوله في البيت 56:

أَنْقَذَ: خَلَّصَ وَنَجَّى مِنْ عَطَبْ، وَاخْتَارَ،آثَرَ،اصْطَفَى،اجْتَبَى:اسْتَحَبْ

فالناظم جمع بين ثلاثة مترادفات(اختار،وآثر،واصطفى)،وجعل لها معنى مرادف لها(استحب)؛فهو يرى بأن (اختار)،و(آثر)،و(اصطفى)،و(اجتبى)كلها مترادفات.

- **التضاد:**

قال أبو حاتم السجستاني:"ضد الشيء خلافه وغيره."[192]

وقال أبو الطيب اللغوي:"والأضداد جمع ضد،وضد كل شيء ما نافاه،نحو البياض والسواد،والسخاء والبخل..."[193]

---

190 ـ الصاحبي في فقه اللغة،ص:97 و98.

191 ـ ينظر:الدلالة اللفظية،58 و59،ومبادئ اللسانيات،ص:312.

192 ـ كتاب الأضداد،أبو حاتم السجستاني،تح:محمد عبد القادر أحمد،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،مصر العربية،د ط،1411هـ - 1991م ،ص:128.

193 ـ كتاب الأضداد في كلام العرب،أبو الطيب اللغوي،تح:عزة حسن،دار طلاس للترجمة والنشر،ط:2،

ERROR: undefined
OFFENDING COMMAND: F11S6

STACK: